روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

أسطورة
عدو الشمس

21

Eman
www.liilas.com

روايات
مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من قرع الطبول والرعب والإثارة

٢١٢٦٩

أسطورة عدو الشمس

قالوا إن الأشخاص الذين لاينظرون فى عينيك مباشرة ، هم أشخاص لايستحقون ثقتك .. فلا تامن لهم ابدا .. ترى ماذا يقولون عن الأشخاص الذين لا تظهر صورهم على الأفلام الفوتوغرافية ؟ .. الأشخاص الذين لا ظل لهم .. والذين لايتحملون ضوء الشمس ؟ الأشخاص الذين يوجدون حولنا ولانعرف عنهم شيئا ..

د. أحمد خالد توفيق

Eman
www.liilas.com

العدد القادم : أسطورة المينوتور

الثمن فى مصر ١٥٠

للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة

إنها من نوع الأمسيات التى أفضل ...

(عبد الوهاب) يترنم فى المذياع بإحدى قصائده الفصحى القديمة .. تعرفون بالتأكيد تلك الأغانى التى يهمهم فيها مع الموسيقا بين مقاطع الكلام .. ما أروعها !

وأمامى ديوان شعر لـ (تاغور) الشاعر الهندى العظيم .. الديوان مترجم إلى العربية لكن الترجمة لم تفسد شيئًا من حرارة الكلمات ووهج العاطفة المنبعثة من قلب عرف معنى التسامح مع الكون ..

أنا أيضًا تعلمت أخيرًا كيف أفهم الكون وأحبه ، بعد ما ضاع شبابى فى محاولات خرقاء لتغييره أو تهذيبه .

اليوم فقط فهمت أن هذا هو (أفضل العوالم الممكنة) وأننا حقًا لمحظوظون ...

هل حان وقت الكلام ؟ ..

إذن فلتسترح قليلًا يا (عبد الوهاب) أيها الملهم .. ولتغف قليلًا يا (تاغور) العبقرى .. ولا تغضبا منى .. أنا لست ملهمًا ولا عبقريًا مثلكما .. لكننى أملك

بعض حكايات (مسلية) للغاية ، كما كان (دوماس) يصف رواياته فى آخر حياته ..

للأسف لا توجد لدىّ فرصة للاختيار اليوم .. فأنا ملزم بأن أحكى لكم قصة (عدو الشمس) التى وعدتكم بها بعد لقائى مع د . (لوسيفر) فى (نيويورك) مع حكايات (التاروت) ..

لست فى حلّ من أن أؤجل ذلك ، لأن غضبكم على تأجيلى قصة الكاهن الأخير لم يهدأ بعد . وأنا لا أكرر أخطائى مرتين إلا حين لا يكون أمامى سبيل آخر ...

دعونا إذن نصغ إلى قصة عدو الشمس ... وهى خالية من الرعب تقريبًا .. وهذا ـ حتمًا ـ يناسب الآنسات الصغيرات الجالسات هاهنا .. لكنها طريفة ومشوقة وهذا ـ حتمًا ـ يناسب الجميع ...

تعالوا معى عبر أحداث هذه القصة التى أعتقد أنها ستكون أدق ما كتبت .. لأنها عبارة عن مذكرات كتبتها فى ذات وقت حدوثها .. وبالتالى لم يتدخل وهن الذاكرة فى حرف منها ..

وسأقدم لك هذه المذكرات كما هى دون تعليق ..

* * *

١ ـ حكاية صورة ..

الثلاثاء ٨ يوليو :

عادة غريبة هى أن يجلس المرء إلى مكتبه ليكتب مذكراته .. خاصة إذا ما كان المرء إنسانًا عاديًا من الذين تزخر بهم الطرقات وطوابير المجمعات الاستهلاكية .. ، فى رأيى أن من يجرؤ على هذا لابد أن يكون من عينة (العقاد) أو (سعد زغلول) أو (روميل) حيث تشكل الحوادث الصغيرة فى حياته (تاريخًا) حقيقيًا تسترشد به البشرية من بعده ..

أما بالنسبة لفرد تقليدى مثلى فلابد أن المذكرات لن تزيد على : صحوت من النوم ـ أفطرت ـ ذهبت للعمل ـ عدت من العمل ـ نمت ـ صحوت ـ خرجت ـ نمت ..

إذن لماذا قررت أنا أن أمارس هذه الجريمة ؟!

المشكلة هى أن الأيام تتراكم فى مخزن ذكرياتى .. زكائب من الوجوه وأكداس من العلاقات وسلال كاملة من الوعود التى لم أف بها بعد ...

شعرت اليوم بأننى بحاجة إلى تنسيق كل هذا وإلا فالويل لى .. وبما أننى ـ أصلا ـ من النوع نافد الصبر

Emam www.lilas.com

الذى لا يواظب على التنفس إلا لأنه يتم رغمًا عنه ، فإننى لا أتوقع أن تستمر هذه العادة الذميمة طويلًا ...

أتوقع أن أواظب على الكتابة بضعة أيام .. شهرًا أو أكثر .. ثم أنسى الأمر برمته و (تعود ريمة لعادتها القديمة) .. لا تخشوا شيئًا إذن ...

* * *

الأربعاء ٩ يوليو :

أشعر بخمول غير عادى بعد عودتى من (نيويورك) ، وتلك الحكاية الغريبة التى كانت لى مع المدعو (لوسيفر) .. لعله الحر .. لعله الإرهاق .. لعله الشعور بالوحدة ..

لكننى أشعر بكلمات الأديب البرازيلى (ماشادو دوأوسيس) : لا أدرى من أين أبدأ الحياة ! ..

لا أجد فى روحى الرغبة فى عمل أى شىء سوى الجلوس فى الدار أقرأ كتبًا عن السحر ، وأقاوم رغبة التدخين التى تمزقنى .. أشعر بالحاجة إلى إخراج هذا السم من حياتى بأى ثمن ...

أتحرق شوقًا كى أذهب إلى المعمل لأرى تلك الصور التى كنت التقطتها قبل سفرى إلى (نيويورك) .. وهى تلك الصور التى بنى د. (لوسيفر) عليها قصته المرعبة الخاصة بى ..

القصة تتعلق بطالبين - فتى وفتاة - أحدهما من النوع المسمى (عدو الشمس) أو (ألبينو) .. عرفت من طلبتى أنهما زوجان .. وأنهما حديثا الظهور فى كليتنا .. وأنهما انعزاليان تمامًا وميالان إلى الانطواء ...

أثارت ريبتى - فى أثناء رحلة القناطر إياها - محاولتهما الدءوب من أجل الفرار من عدسة الكاميرا ، حتى ظننت بهما الظنون .. إلا أننى نجحت فى التقاط صورة لهما خلسة على سبيل العناد ، وأرسلت الفيلم إلى المعمل ونسيت كل شىء عنه ..

إلى أن ذكرنى د . (لوسيفر) بالأمر حين قرأ لى أوراق (التاروت) ، أما رؤيته الخاصة لما سيحدث فهى أننى لن أجد أثرًا للزوجين فى الصور عند عودتى إلى مصر ..

التفسير : تفسير غريب ومضحك هو أن الزوجين قادمان من عالم آخر ، ويتضح لى أنهما مخلوقان بشعان لزجان يهمهما بأى ثمن أن يستردا هذه الصورة .

والنتيجة : يتسللان إلى شقتى ليلًا ليستردا الصور ، وتنتهى القصة بوفاتى - عليهما اللعنة - وبأبشع الطرق .

ملحوظة : إلى حد ما تذكرنى هذه الحبكة بحبكة فيلم

(تكبير) لـ (أنطونيونى) الذى عرض فى نادى سينما القاهرة العام الماضى - ١٩٦٧ - وهو يناقش الصورة التى تبدو فيها جثة .. ويكون على المصور أن يواجه مطاردة لحوحًا من فتاة تريد هذه الصورة ..

وطبعًا لم يكن (أنطونيونى) يتحدث عن الموضوع من حيث كونه مرعبًا .. بل ليوحى بعبثية وهراء ما نكافح من أجله ..

ما علينا ...

غدًا سأستجمع عزيمتى وأرتدى ثيابى وأحلق ذقنى ثم أبحث عن الحذاء (ليتنى أذكر أين رميت هذا الأحمق) .. وأذهب إلى معمل التصوير لأبحث عن هذا الفيلم ...

* * *

الخميس ١٠ يوليو :

لقد فعلتها ... !

أى والله ! .. نجحت فى الانتصار على حالة الجمود التى كنت أمر بها ، وخرجت إلى المستشفى ثم عرجت على معمل التحميض إياه لأذكرهم بالفيلم ... لكن الفتاة التى تعمل هناك (وهى بالمناسبة معتوهة نوعًا) قالت لى وهى تتأمل الإيصال وتشهق :

- لكن هذا منذ شهر تقريبًا .

ضغطت على أعصابى .. وقلت :

- لا أعتقد أن الأمر يتعلق بقصعة من الثريد لو لم أسارع إليها لنفد الثريد منها .. هذا الفيلم ثابت .. ولو أننى تركته عامين فالمفترض أن أجده هاهنا .

- أعرف .. لكن .. المشكلة هى أن ...

وعكفت - مع فتاتين أخريين - نتفحص عشرات الأكياس الورقية التى تحوى أفلامًا أخرى .. ثم هزت رأسها فى تعاسة :

- هلا جئت غدًا .. ربما كان ...

تصاعد الدم إلى رأسى :

- إذن فنظام هذا المعمل لا يزيد على نظام سوق الأغنام ..

فى حرج قالت وهى تنصرف قاصدة زبونًا آخر :

- المشكلة أن حادث سطو قد وقع هنا منذ أسبوع .. ومن لحظتها اختلط كل شىء .. ثم جاءت الشرطة لتزيد الأمر سوءًا .. هيه !.. أفندم !.. متى أحضرت الفيلم ؟

تركتها وركبت سيارتى وأنا أشعر بأننى عوملت بإهمال لا أستحقه ..

وفى الطريق إلى دارى خطرت لى بعض أفكار أعتقد أنها لا تخفى على ذكاء أحد ...

www.liilas.com

يجب أن أتأكد ..

أدرت قرص الهاتف فى شقتى طالبًا (عبد المجيد) صديقى المحاسب الذى يقطن فى شقة تطل شرفتها على معمل التصوير ..

وسمعت صوته الغليظ يتساءل عمن هنالك .. فقلت فى غيظ :

ـ إنه أنا طبعًا يا أحمق .. من سواى ؟

ـ لكنك لم تقل حرفًا .. فكيف تتوقع منى أن ... ؟

ـ لا عليك .. قل لى .. متى وكيف سرق معمل التصوير الذى أمام دارك ؟

ـ اهتمام غير عادى .. على كل حال هو سرق منذ أسبوع تقريبًا .. وسرقته لغز .. لأن السارق لم يمس شيئًا ذا أهمية سوى ... مجموعة من الصور الفوتوغرافية والأفلام التى لم يتم تحميضها !

ـ هل أنت موقن بهذا ؟..

ـ حتمًا .. إن (سليمان) صديقى و ... قل لى .. كيف حالك أولا ؟ ومتى عدت من (أمريكا) ؟ .. إن أسفارك هذه ..

كان رأسى يهدر كمحرك توربينى عملاق ..

أجبته بعبارات قصيرة ، ثم جلست أفكر فى مغزى هذا ..

ظاهريًا يبدو الأمر كله مجرد صدفة .. لكننى ـ وقد سمعت ما قاله د. (لوسيفر) ـ أشعر بهاجس معين.

لماذا لا تكون سرقة محل التصوير جزءًا من حماس هذين الزوجين لاسترداد صورتهما ؟!

يبدو لى الأمر كذلك ...

ولكن كيف عرفا أننى اخترت هذا المعمل بالذات ؟ ..

للمرة الأولى أشعر بالذعر يغمرنى .. لا يمكن أن يتنبأ (لوسيفر) بالمستقبل .. أنا أعترف له بقدرته على رؤية الماضى ـ ربما عن طريق قراءة الأفكار ـ لكن نبوءاته بصدد الغد أثبتت فشلها جميعًا ..

إذن .. الأمر لا يعدو أن يكون صدفة ..

غدًا ـ الجمعة ـ أعود إلى المعمل ، وأحاول أن أجد صورى المأفونة هذه ...

* * *

الجمعة ١١ يوليو :

بعد صلاة الجمعة قصدت المعمل إياه ..

فى هذه المرة لم أجد هناك سوى تلك الفتاة البلهاء ، حيث أن الجميع انصرف لتناول الغداء .. فما إن رأتنى حتى أشرق وجهها ، ومدت يدها تخرج لى كيسًا ورقيًا .. وتقول :

www.liilas.com

ـ د. (رفعت إسماعيل) ! .. لقد وجدنا صورك !

سألتها وأنا أدسّ الكيس فى جيبى وأناولها الإيصال :

ـ مرحى ! .. أين وجدتموها !

ـ كان الفيلم السلبى معلقا فى غرفة التحميض .. فلم يفطن إليه أحد .. شكرتها.. وغادرت المعمل .

الآن يمكننى أن أعرف الحقيقة ...

سأصاب بانهيار عصبى لو وجدت مكانا خاويا فى هذه الصور .. لكنى كذلك سأصاب بخيبة أمل لو لم أجد هذا المكان ...

سأنتظر حتى أصل إلى البيت .. وحين أخلو بنفسى هناك يمكننى فهم الموضوع برمته ..

* * *

٢ ـ لا مجال للهلع ..

الجمعة ١١ يوليو (تابع) :

بيد ملهوفة رحت أتصفح الصور ..

يا للسخف ! .. كلها تظهر وجوهًا ضاحكة بلهاء تتراص فى صفين.. الصف الأمامى جالس والصف الخلفى واقف ، يحاول أفراده بأصابعهم أن يصنعوا آذانا لأفراد الصف الأمامى ..

كنت أعرف هذا ، وسمحت لنفسى به للأسف ..

ولعمرى تلك هى مشكلة فن التصوير فى مصر .. ما إن تصوب الكاميرا إلى مشهد طبيعى بارع الجمال حتى تجد من يحشر نفسه حشرًا فى الكادر ليرى كم هو جميل .. وبعد ثانية يحتشد عشرات المتطفلين حوله ، ليغدو موضوع الصورة أبعد ما يكون عما كنت تزمع !.

دعونا من هذه الملاحظات ...

آه ! .. ها هى ذى الصورة ...

فى لهفة أدرسها.. أقربها من عينى.. حسن..

لا داعى لمزيد من القلق.. أنا أرى الفتى (الألبينو) وزوجته الحسناء بوضوح تام من خلف كتف الطالب

www.liilas.com

إياه .. وأرى تلك النظرة فى عين الفتى إذ أدرك أننى ألتقط الصورة ...

لقد كان د . (لوسيفر) يهرف بما لا يعلم إذن ..

هما مجرد زوجين طبيعيين يكرهان الفضوليين من أمثالى .. وأنا الذى كدت أجن كى أرى هذه الصورة !..

لا داعى لمزيد من الهلع إذن ..

* * *

السبت ١٢ يوليو :

لا مفر من أن أقع فى شرك (التقليدية) من جديد ..

صحوت من النوم .. تناولت إفطارًا دسمًا (أحاول أن أزيد من وزنى بضعة كيلوجرامات بعد الإقلاع عن التدخين) .. ذهبت إلى المستشفى .. عدت للبيت .. طهوت لنفسى غداء دسمًا لنفس الأسباب السابقة .. نمت .. صحوت .. خرجت .. عدت .. سأنام بعد إنتهاء هذه السطور إذن ..

(لا أدرى من أين يجىء أصحاب المذكرات بكل الكلام الذى يكتبونه إلى حد أنهم يملئون مجلدات كاملة) .

* * *

الأحد ١٣ يوليو :

ناديت (مدحت) ـ أحد الطلبة عندى ـ وقدمت له

أنا أرى الفتى (الألبينو) وزوجته الحسناء بوضوح تام من خلف كتف الطالب إياه ..

مجموعة الصور السخيفة التى التقطتها مع الفيلم .. ، وطلبت منه أن يرفع عن عاتقى مهمة إعطاء كل صاحب صورة صورته ..

كان (مدحت) شابًا نحيلا عصبيًا سريع الانفعال والصراخ ، ممن يستعملون أذرعهم فى التعبير أكثر من اللازم .. وهو كثير الحركة إلى حد أنك تجد قميصه دومًا وقد أبى أن يبقى داخل سرواله .. وتشعر كأنما هو خارج من مشاجرة دامية طيلة الوقت ..

إنه يذكرنى بشبابى إلى حد كبير ، ولعل هذا هو السبب فى أننى أستريح إليه .. وأثق به أكثر من غيره ..

قال لى (مدحت) وهو يحاول ألا يرفع صوته :

ـ هل يسمح وقتك ببضع دقائق يا د . (رفعت) ؟

ـ فى الواقع يا (مدحت) .. أنا مشغول ..

حك رأسه فى توتر .. ثم بلل شفته السفلى بلسانه وغمغم :

ـ ثمة شىء ما يضايقنى .. و ....

ـ إذن .. تعال لمكتبى غدًا ..

وفارقته وأنا أعرف ـ بالتأكيد ـ نوعية ما يضايقه .. إن (مدحت) هو نموذج لذلك الشاب الطموح المندفع صاحب شهوة (إصلاح الكون) .. إذن من الطبيعى أن يكون هناك دومًا شىء يضايقه ..

لقد اعتدت منه ـ مثلا ـ أن يجىء مكتبى ليقول لى فى هستريا :

ـ سئمت الفقر والمرض !

كأنما ـ الأحمق ـ يتوقع أن عندى على مكتبى زرين .. زر خاص بمنع الفقر وزر خاص بمنع المرض .. وأن شكواه لى ستدفعنى دفعًا إلى ضغط الزرين فيزول الفقر والمرض ..!

أحيانا أخرى يقتحم المكتب هاتفًا :

ـ تبًا للحروب !

فأمد يدى باحثًا عن زر (وقف الحروب) على مكتبى ، لكنى لا أجد واحدًا .. للأسف ..

إن موهبتى البارعة فى الإنصات قد جلبت علىّ الوبال .. وأعرف عشرات يحسبون مهمتى فى الحياة هى الإصغاء لآلامهم وهواجسهم .. لا أكثر ...

إذن لى أن أتوقع أن (مدحت) يريدنى لشىء من هذا القبيل على غرار (يسقط الاستعمار) أو (فلتحى الإرادة الفيتنامية) أو أى شىء قد يتفتق عنه ذهنه ...

فى المساء :

بالمصادفة البحتة قابلت د . (محمد شاهين) .. أستاذ (الأنثروبولوجى) العتيد البرىء كالأطفال .. ،

Eman www.liilas.com

إن علاقتى بـ د . (محمد) تعود إلى ذلك اللقاء العاصف فى شقتى يوم كان يحسبنى آكل بشر .. ، بعدها التقينا مرات محدودة جدًا كان آخرها ذلك اللقاء فى فيللا د. (سامى) ليلة راح كل منا يحكى خبراته مع الرعب .. ماذا كانت قصته هو ؟ .. لا أذكر بالضبط .. أعتقد أنه تحدث عن قط خائف بلا سبب .. وصديقه الشبيه بالشيطان .. ربما كان ذلك ... المهم ...

كان كلانا يشعر بالخواء والحاجة إلى رفيق .. ، فأنا عزب قليل الأصدقاء ، وهو أرمل فى الآونة الأخيرة ، وقد أدركت من نحوله وشحوبه أن أموره ليست على ما يُرام .. ولا غرابة فى هذا .. فهو رجل يحتاج إلى زوجة عاقلة تمنعه من إيذاء نفسه أو ارتكاب حماقات تجلبها براءته القاتلة ..

جلسنا فى مقهى (الفيشاوى) .. العبق الساحر الذى لا يزول لحىّ (الحسين) .. وذلك الحزن المرهف لليالى الصيف ..

استنشقت هواء المساء .. وتسربت قشعريرة إلى جلدى .. ، أريد أن أبكى ولا أعرف سببًا لهذا .. لقد أعاد لى هذا الرجل ذكرى حاولت أن أتجاهلها طيلة الوقت حتى حسبتنى نسيت ...

لقد كانت (هويدا) موجودة فى كل لحظة قابلته فيها !

كلا .. لم يكن حبًا .. بالتأكيد لم يكن كذلك .. لكنه شعور دام يؤلمنى .. سمّه الألفة .. سمه الاشتياق .. سمّه أى شىء .. ومن يدرى ؟ . لربما كان الأمر كله حنينًا إلى (رفعت إسماعيل) تلك الأيام التى لن تعود .

حول كوبين من الشاى الجيد جلسنا نثرثر ... قرقرة الماء فى (الشيشة) التى يدخنها باحتراف حقيقى .. وصراخ التادل .. وارتطام أحجار (الدومينو) ..

قال لى د. (محمد) وهو يضع المزيد من قطع الفحم بالماسك :

ـ ما هى آخر أخبارك ؟

ـ خواء .. لا أكثر ..

ـ أنت اخترت هذا لنفسك .. لماذا لم تتزوج حين كان سنك مناسبًا ؟ ثم استدرك .. وقال فى حرج :

ـ لازالت سنك مناسبة .. أعنى أنها كانت مناسبة أكثر !

قلت وأنا أذيب مزيدًا من السكر فى الشاى :

ـ إننى (هاملت) المصرى .. البطل بلا بطولة .. أتكلم وأتكلم لكنى أخشى أن أفعل .. لم أزل أعتبر من يقدمون على الزواج شجعانًا إلى حدّ غير عادى .. ثم من هى البطلة التى تتحمل إنسانًا يقضى نصف يومه

www.liilas.com

فى القراءة .. ونصفه فى النوم .. ونصفه الثالث - إن كان له نصف ثالث - فى الاكتئاب ؟

- .. والنصف الرابع فى مواجهة الأشباح ..!

ثم إنه قال لى وهو يجرع جرعته الأولى من الشاى :

- عندى لك عروس مناسبة .. فقط إذا كنت جادًا ..

تثاءبت .. وقلت فى تعاسة

- أنا متحمس .. لكن لا تبدو الحماسة على ملامحى .

- إذن نلتقى هنا غدًا لنرتب اللقاء ..

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

عندى اليوم موعدان يثيران فضولى إلى حد ما ..

الموعد الأول : مع (مدحت) الطالب المتحمس إياه .

الموعد الثانى : مع د. (محمد شاهين) ليلا للحديث عن زيجتى القادمة . وإليك ما حدث ...

فى العاشرة صباحًا كنت جالسًا فى مكتبى منهمكًا فى كتابة إحدى الأوراق العلمية ، حين سمعت من يقرع الباب مستئذنًا للدخول ..

رفعت عينى فوجدت (مدحت) على الباب .. وعلى كتفه تتدلى حقيبة يد صغيرة ..

أشرت له أن ادخل ففعل .. أشرت له أن اجلس فجلس ..

أشرت له أن تكلم سريعًا .. فتكلم ..

وكان ما قاله مثيرًا للاهتمام :

- أنت تعرف يا د. (رفعت) أننى من هواة التصوير .. ثمة شىء غير عادى لاحظته فى تلك الرحلة التى قمنا بها معك إلى القناطر قبل سفرك .. سقط القلم من يدى ونظرت له بإمعان .. فأردف :

- كنت أشك فى الأمر حتى رأيت صورك وصور صديق آخر كان يحمل كاميرا هو الآخر ... هل تأملت الصور بعناية ؟!

ومد يده لى حاملا مجموعة من الصور أخرجها من الحقيبة .. فتناولتها منه دون أن أبعد عينى عن عينيه ..

هل سيقول هذا الفتى شيئًا مما يجول بذهنى ؟ ..

رحت أتصفح الصور دون كلمة .. لم أر ما يثير كل هذا الوجل لديه .. كلها مماثلة لصورى أنا .. ذات الوجوه الضاحكة فى بلاهة ..

قلت له محاولا أن يبدو صوتى هادئًا :

- ماذا تراه هنا ويثير ريبتك ؟ ..

اتسعت عيناه وتناول صورة منها ليشير إلى شخص يقف فيها :

Eman www.liilas.com

- هذا هو (شريف السعدنى) .. وهو يتحدث إلى شخص ما .. ، وهذه الصورة .. يبدو فيها (ماهر) وهو يضع يده على كتف شخص ما .. ، أذكر هذه الصور جيدًا لأننى لم ألتقطها بنفسى .. هناك صديق التقطها لنا ليظهرنى ضمن المجموعة ..

- إن هذا ليس مبررًا كافيًا للذعر فيما أرى ..

- كلا .. أنت لا تفهمنى ..

وفى لهجة أثارت الرعب فى قلبى غمغم :

- أين أنت ؟ .. لا أجدك فى أية صورة برغم أن (شريف) كان يحدثك .. و (ماهر) كان يضع يده على كتفك أنت ..!!

.....!

* * *

٣ - أين أنا ؟

الاثنين ١٤ يوليو [بقية] :

شعرت - كما هو متوقع - بالذهول ..

كان هذا آخر شىء أتوقع أن يقوله لى الفتى ..

إذن فـ د . (لوسيفر) لم يكن مخطئًا على طول الخط .. ثمة شىء من صواب فيما قال .. لكنه أخطأ بصدد الشخص ..!

كنت شاردًا فى كل هذا بينما الفتى يضيف :

- .. وحين رأيت صورك أدركت أنه من المستحيل أن أكون واهمًا .. لأن صورتى وأنا أحمل الكاميرا وأصوبها تجاهك واضحة فى عشر لقطات على الأقل .. بمعنى أنه كان المفترض أن أجد بدورى عشر لقطات تبدو أنت فيها حاملًا الكاميرا .. !

وابتلع ريقه :

- من المعتاد - عند وجود مصورين لذات الحدث - أن يظهر كل منهما مرارًا على فيلم الآخر ...

بللت شفتى بلسانى .. وتأملت الصور :

- هذا حق .. ولكن لابد من تفسير ما ...

www.ilias.com

إذن كنت واهمًا بصدد الزوجين ..

واحد فقط كان يستحق أن أبحث عنه فى الصور بشك .. وهذا الواحد هو أنا ... ! ...

تساءل (مدحت) فى قلق :

ـ هل تملك تفسيرًا لهذا يا د . (رفعت) ؟

ـ بالطبع لا أملك .. كل ما أعرفه هو أننى لست شبحًا !

قال وهو ينهض ويجمع صوره :

ـ أنا أعرف أن لديك خبرة بهذه الأمور .. لهذا ...

ـ أية أمور ؟! ..

شعر بأنه محرج .. وارتجفت يداه وهو يقول :

ـ هذه الأمور .. أعنى .. كان واجبًا أن أنبهك .. لربما هو داء عضال فى بدايته ... أو ...

قلت له فى جدية :

ـ اسمع .. أريد أن تبقى هذه الصور معى .. أريد كذلك أن يظل هذا الموضوع سرًا بيننا ..

ـ أنت تعرف أنك تستطيع الاعتماد علىّ يا د.(رفعت) .

وكانت هذه هى بداية اليوم ... !..

ويا لها من بداية غير عادية ! ...

كان أول شىء فعلته بالطبع هو أن ذهبت لأتأكد من أن وجهى موجود فى المرآة المعلقة فى الحمام ..

كل شىء كما هو .. ذات القبح والنحول والصلع والحمد لله..

ثم إننى تركت العمل مبكرًا ، وهرعت إلى أحد استديوهات التصوير حيث طلبت أن يصورنى من أجل جواز السفر بضع صور ...

كنت متأنقًا فى هذا اليوم بشدة وهذا من حسن حظ الصورة.. لكن المصور وقف خلف الكاميرا ، وداري رأسه بمنفاخها بعض الوقت .. توطئة لأن يبرز رأسه من جديد ليقول فى كياسة :

ـ هل ترى أن نؤجل هذه الصورة بعض الوقت حتى يكون مظهرك ملائمًا ؟!

عليك اللعنة ! .. إننى لفى أفضل حالاتى اليوم ..

ـ إنه ملائم بالفعل !

وهكذا التقط لى الرجل الصورة غير مقتنع .. ودعانى أن أزوره غدًا لأتسلمها ...

ـ وهل من طريقة لتسلمها الآن ؟ ..

ـ للأسف .. مستحيل(*)

هذا عن منتصف اليوم ..

(*) لا تنسوا أن الأحداث فى نهاية الستينات .. حين كانت الصور الفورية نوعًا من قصص الخيال العلمى ..

Eman www.liilas.com

أما عن نهايته .. فقد ذهبت إلى (القيشاوى) فى المساء بحثًا عن د . (محمود شاهين) ..

كان جالسًا على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعًا ساقًا على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه .. وصلعته تلتمع بالعرق ..

فما إن رأنى حتى هش وبش .. وطلب لى فنجانًا من القهوة ..

قلت له فى كياسه رأيى عن تدخين أستاذ جامعى للشيشة .. فخلع منظاره السميك كاشفًا عن عينيه الضيقتين المنهكتين . وقال :

ـ التدخين نفسه عادة همجية .. نوع من العربدة الذاتية .. فإذا أنت رأيت رجلا يحرق نفسه بموقد الكيروسين بدلا من موقد الغاز ، فلا تلمه إلا على إحراق نفسه ...

ـ منطق لا بأس به ..

وأحضر النادل صينية عليها فنجان القهوة .. فجرعت جرعة ماء حتى لا أصاب بالقرحة (فأنا لم أذق طعامًا من ليلة أمس لأننى لم أجد عندى رغبة فى طهى إفطار ولا غداء ..) ..

شرعت أحكى له بعض الأكاذيب مستمتعًا بأنه يصدق

كان جالسًا على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعًا ساقًا على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه ..

كل حرف مما أقول .. لولا البلهاء ـ كما قال (مارك توين) ـ لما حقق الآخرون فى هذا العالم أى نجاح ...

وبعد نصف ساعة طلبت منه أن يحكى لى عن هذه العروس .. قال لى :

ـ هى تدرس الفلسفة فى كليتنا ، وقد فاتها قطار الزواج لأنها انهمكت فى عملها إلى حد أنها لم تسمع صفارته إذ يرحل ..

صحت فى حنق :

ـ يا سلام !.. ولماذا أتزوج واحدة فاتها قطار الزو ..؟

رأيت عينيه المرهقتين تحدقان فى عينى .. وسمعته يقول :

ـ لأنك شخت حقًا يا (رفعت) .. ألم تفهم هذا بعد ؟

يا للألم !.. أبدًا لن يفارقنى الشعور بأننى مازلت طفلاً .. أصغر من كل هذه الكلمات الكبيرة .. وفى لحظة احتضارى لن أشعر سوى بأننى طفل يموت .. لقد شخت حقًا ..

قلت منهمكًا مستسلمًا .

ـ بلى .. أفهم .. حسن .. هل هى جميلة ؟

توقعت أن يقول : فاتنة .. وكان هذا سيثير قلقى .. فأنا لا أثق بذوقه البتة .. فهذا الغرير لا يعرف حتمًا

معنى كلمة (جميل) .. لكنه أراحنى إذ مط شفته السفلى .. وهز كفه بمعنى أن ...

ـ بين .. بين .

لا بأس .. إذن هناك أمل .. مادامت لم ترق له ..

ـ وماذا عن شخصيتها ..؟

ـ بين .. بين .

وعائلتها ؟..

ـ بين .. بين ..

ـ وهل هى على شىء من الرجولة ؟

ـ بين بين ... ماذا ؟ .. هل تمزح ؟

قلت وأنا أرشف القهوة :

ـ ظننت عنها أصابك فجعلك لا تردد إلا (بين بين) .

ثم وضعت الفنجان متسائلا :

ـ ومتى وكيف أراها ؟

ـ تعالى إلىّ غدًا فى تمام العاشرة صباحًا .. وسنجد طريقة ..

وهكذا .. جلست أرمق الجالسين فى فضول .. وأدس بذور اللبّ بين أسنانى .. غريب أننى نسيت تمامًا ما حدث صباح اليوم .. بالتأكيد هو مجرد كابوس أو خطأ مُعيّن .. سيتضح كل شىء لى غدًا .. أما الآن

Eman www.liilas.com

فلنحاول تسلية د . (محمد) .. سألته فى إغراء :

ـ هل تلعب الطاولة ؟

ـ بالتأكيد ...

ـ أنا لا ألعبها ...!

لا أدرى لماذا أشعر بأننى أستفز هذا الرجل ..!

الثلاثاء ١٥ يوليو :

عرجت على ستوديو التصوير فوجدته مازال مغلقًا .. إذن سنرى شأن هذه الصورة حينما نعود إلى الدار ..

وهرعت إلى كلية الآداب ، فوجدت د . (محمد شاهين) جالسًا مع اثنين من طلبة الدراسات العليا ، يحدثهما عن تصوره لما ينبغى أن تكونه الـ ... المهم .. دعونا من هذا ...

بعد أن انصرفا سألنى عن سبب شحوبى .. هل هو الحياء ؟ ..

ـ الواقع أن هناك ما يثير توترى هذه الأيام ..

ثم سألته مباشرة وبلا تمهيد :

ـ متى لا يظهر الإنسان فى الصور الفوتوغرافية ؟!

ـ سؤال غريب حقًا !

وتأمل الأوراق التى بين يديه .. ثم قال :

ـ قالوا لنا : إن الأشباح لا تظهر .. وكذلك لا يظهر مصاصو الدماء ..

ـ ألا يوجد تفسير آخر ؟

ـ لو كان هناك واحد فأنا لا أعرفه .. ولكن لماذا تسأل ؟

قلت وأنا أنهض وأشير إليه أن يحذو حذوى :

ـ إن من لا يظهر فى الصور الفوتوغرافية لهو إنسان فى مأزق .. إذ كيف يستطيع هذا البائس أن يظهر فى صورة العرس ؟!

بدا الذهول على وجهه .. وظننت أنه يحاول أن يربط الكلمات بعضها بالبعض .. لكنه قال فى سذاجة :

ـ لا داعى لصورة العرس .. أنا لم آخذ صورة عرس عندما تزوجت !

لن يفهمنى هذا الرجل أبدًا ..

لن يعرف أبدًا لحظات مزاحى من لحظات جدى .. وذهبنا إلى قسم الفلسفة .. فياله من مكان محبط ! .. كنت أتوقع أن أرى الفلاسفة الرواقيين جالسين على درجات السلم .. وأن أجد من يمشى حاملا فانوسًا .. أو أن أرى من يعيش فى برميل .. لكنه كان مكانًا عاديًا جدًا .. مكاتب .. وسكرتيرة تطبع شيئًا ما على الآلة الكاتبة .. وبعض طلبة يسألون عن ميعاد امتحان التخلف .. و ...

www.liilas.com

ـ دكتورة (كاميليا) ؟

كانت هناك .. تدير ظهرها لنا وتلتقط كتابًا ما من فوق أحد الرفوف..

ولمحت شعرًا كستنائيًا قصيرًا .. وتايورًا رمادى اللون .. ويدًا معروقة عصبية تتحرك هنا وهناك بحثًا عن صيد فلسفى جديد ..

شعرت بالهلع .. إنه كابوسى القديم .. سوف تستدير هذه المرأة لأكتشف أنها مسخ ذو أنياب .. أو أن لها رأس ذئب .. أو ..

لكن ـ لشدة الغرابة ـ رأيت وجهًا رقيقًا ..

كانت ترتدى منظارًا أنيقًا يرتفع فوقه حاجبان متحديان .. وكانت تضع كمية هائلة من مساحيق التجميل.. لا أدرى السبب فى وجود علاقة طردية بين قوة شخصية المرأة وبين حبها لتلطيخ سحنتها بهذه الأصباغ ، لتبدو كهندى أحمر من (الشيين) ذاهب لإحراق معسكر ...

وعلى الفور راح (الكمبيوتر) فى رأسى الأصلع يصنف ويفند .. ويضع هذه المرأة فى ملف من ملفات البشر التى أحتفظ بها ..

وكان الملف الذى دخلته د . (كاميليا) هو ملف

(المثقفة الهستيرية التى لا تهمد ، والمدافعة أبدًا عن حرية المرأة) .. وهو ملف مناسب إلى أن أعرفها أكثر .

كانت (هويدا) موضوعة فى ملف (أنثى بلهاء تبحث عن عريس ، ولا تقرأ سوى حظها فى الصحف) .

وكانت (ماجى) موضوعة فى ملف (الصديق الذكى اللطيف) .. وأنا نفسى موضوع فى ملف (المتشائم المكتئب الذى زاده الخوف من الكون نحولاً) .

ورأيت (كاميليا) تتقدم نحونا وعلى فمها ابتسامة متحفظة .. وهنا عرفت حقيقة مروعة ..

عندما تنوى ان تبدأ مشروع زواج لا تصطحب معك أحدًا .. وبمعنى أفضل .. لا تصطحب د. (محمد شاهين) بالذات .. إن هذا الرجل لفضيحة تمشى على قدمين ..

لقد راح يعرفنى بالدكتورة (كاميليا) وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.. وراح يقول كلامًا واضح المغزى.. ويغمز بكلتا عينيه .. و .. و .. حتى إننى تمنيت لو تحولت يدى إلى قذيفة نووية أدسها فى فمه ليخرس إلى الأبد ...

قالت لى بصوت رجولى قليلاً :

ـ فهمت أن سيادتك من المهتمين بالفلسفة ..

وقبل أن أرد صاح د . (محمد) فى حماس ، واللعاب يتطاير من شدقه :

ـ جدًا .. جدًا .. إن د . (رفعت) فيلسوف عالى المستوى .. إنه يتفلسف فى كل مكان .. فى الشارع .. فى العمل .. فى الفراش .. فى دورة المياه .. إن هذا الرجل هو ـ ما شاء الله ـ (أرسطو) مصر !

قالت فى رزانة :

ـ عظيم ! .. سيكون من دواعى سرورى أن أتبادل الحديث معك . ولكن ليكن ذلك فى وقت آخر .. حيث إن ظروفى ...

ونظرت إلى ساعتها .. ، فهززت رأسى بمعنى أننى أقدر وأفهم .. وولّيت الأدبار مع د . (محمد) ...

سألنى ونحن عائدان عما يجول بخاطرى ...

ـ لا أدرى ـ قلت له ـ لا أعتقد أنها تناسبنى أو أننى أناسبها ..

ـ هو مجرد انطباع .. تعال غدًا بدونى وجاذبها أطراف الحديث ..

وهكذا ... تم تأجيل الحكم فى قضية زواجى ..

الآن جاء وقت العودة لدارى ..

عرجت على ستوديو التصوير لأخذ صورى .. ، قال

لى المدير فى حيرة : إنه آسف على الخطأ غير المقصود الذى حدث ..

ـ أى خطأ ؟!

ـ صورتك يا سيدى .. لم تُلتقط .. وجدنا (النيجاتيف) خاليًا من وجهك الكريم .. وبرغم هذا كان المنظر الخلفى موجودًا بكل تفاصيله .. لابد أن خطأ ما قد حدث .. ولكن .. يخيل لى أنك ترتجف يا سيدى .. ترتجف !.. فما هو السبب فى هذا ؟!

.....

* * *

Eman www.liilas.com

٤ ـ البحث عن سبب ..

الثلاثاء ١٦ يوليو :

انقطعت علاقتى بالعالم الخارجى ...

كان الذعر الذى عصف بعالمى يفوق الوصف ...

إذن فالموضوع حق لا مزاح فيه ولا مبالغة ولا سوء تفاهم ..

إن شيئًا ما شريرًا يحدث لى ...

هرعت إلى المستشفى باحثًا عن د. (رأفت) زميلى .. وهو رجل صموت كالقبر .. أثق بكفاءته تمامًا ..

حكيت له ما كان بصدد الصورة .. فبدا غير مصدق .

ـ لا توجد سابقة علمية تحكى عن شىء كهذا ..

ـ إذن فما هو التفسير .. ؟

ـ خطأ بسيط .. ظن ذلك الطالب أنه التقط صورتك ولم يكن هذا صحيحًا .. أما المصور فكان شارد الذهن حين التقط صورة لم تكن أنت قد جلست أمامه فيها .

ـ يبدو لى هذا مبالغًا فى الاستنباط ..

ـ لكنه الحل الوحيد ..

ووضع يده على كتفى فى رفق .. وقال :

ـ أنا أسمع الكثير عن هوايتك للأمور الخوارقية والأشباح والبيوت المسكونة .. أسمع الكثير فأصدق ما أصدق وأكذب ما أكذب .. لكنى أعرف شيئًا واحدًا .. إن هذه الهواية ستدمر السور الفاصل ما بين الحقيقة والوهم فى عقلك الباطن ..

ـ هل تعنى ؟ ...

ـ نعم .. كفّ عن لعب دور (صائد الأشباح) قليلاً .. وفكر كطبيب ..

نظرت إلى عينيه متأملاً :

ـ هلا أجريت كل الفحوص الممكنة لى ؟ .. أريد التيقن من أن شيئًا ما لم يصبنى ..

ـ وما هى التحاليل الخاصة بمرض (التلاشى الفوتوغرافى) هذا ؟

ـ لا أدرى ..

تنهد فى صبر .. وغمغم :

ـ سنقوم بتجربة كل شىء إذن ...

* * *

وهكذا تحول (رفعت إسماعيل) إلى فأر تجارب .. أخذوا منى دمًا يوازى ما سال فى معركة (حطين) من دماء .. رسم قلب .. رسم مخ .. فحص لقاع العين ..

Eman www.liilas.com

عينات من كل سوائل جسمى .. والنتيجة : لا شىء ..

إذا ما تغاضينا عن تصلب الشرايين المبكر ، وانسداد الشريان التاجى الرئيسى ، وتحلل شبكية العين ، والربو ، والتهاب البروستاتا .. يمكن القول إننى بصحة ممتازة .. وإن جسدى يعمل كما كان دائما .. إلا أن الجزء الردىء من القصة بدأ حين وقفت لالتقاط صورة بأشعة (رونتجن) لصدرى ... وكانت النتيجة هى أن الفنى عاد بوجه ممتقع ليصارحنى :

ـ ثمة خطأ ما .. الفيلم لا يظهر شيئاً على الإطلاق !

ـ تعنى أن رئتىَ سليمتان؟

ـ بل أعنى أنه لا توجد رئة على الإطلاق !.. لا يوجد شىء !

هذه هى الضربة القاصمة إذن ...

الخطأ لا يتكرر ثلاث مرات من أشخاص مختلفين ...

ماذا قد حدث لى ؟ ...

لا أفهم .. ولن أفهم قبل أن أهدأ قليلاً ..

* * *

الأربعا ١٧ يوليو :

لم يحدث لى شىء غير عادى .. وهذا فى حد ذاته أمر مثير يستحق أن أكتبه فى مذكراتى ...

الخميس ١٨ يوليو :

عشرة أيام على بدء كتابتى مذاكراتى .. يبدو أننى سأواظب على هذا العمل الأحمق فترة أكثر مما توقعت .

نتائج الفحوص التى أجريتها تتوالى ، وكلها طبيعية ..

لا يمكن القول إننى أعانى مرضا عضالا معينا ..

سألت (رأفت) عن رأيه فى كل هذا .. فحك رأسه وقال .

ـ الحق أننى لا أدرى ..

ثم ابتسم ونظر لى نظرة لا أفهم معناها :

ـ ما هى المشكلة فى كون صورتك لا تظهر على الأفلام ؟ .. ألا ترى معى أن هذا فى صالح القيم الجمالية على كل حال ؟!

صعد الدم إلى رأسى :

ـ يا سلام ! .. تريد أن أطمئن إلى ظاهرة مغايرة لكل قوانين الطبيعية .. والكارثة هى أننى محور هذه الظاهرة ..!

ـ لكنك بصحة طيبة عموما ..

ثم تنهد .. وقال فى ملل :

ـ حسن .. هل ترى أن نستشير أحد المختصين بعلم البصريات ؟

www.liilas.com

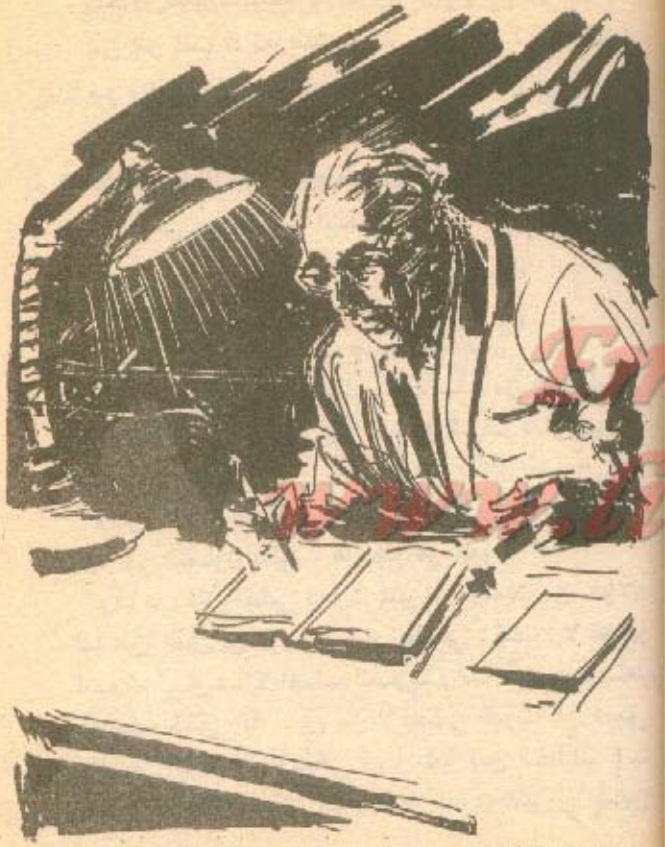

وحين عدت لداري ، رحت أحاول أن أضع تصورًا لما حدث لي ..
أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكاري ..

ـ أفضل أن يظل الأمر فيما بيننا حتى أجد تفسيرًا ..

وحين عدت لداري ، رحت أحاول أن أضع تصورًا لما حدث لي ..

أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكاري :

أولاً : يوجد سبب ما يمنع انعكاس صورتي على الأفلام .

ثانيًا : هذا السبب قد يكون فيزيائيًا أو ميتافيزيقيًا .

ثالثًا : الأسباب الفيزيائية هي : تغير معامل انكسار خلاياي .. أو امتصاص جسدي لأشعة الضوء .

رابعًا : هذا التغير الفيزيائي غير المسبوق ، قد ينجم فرضًا عن تعرضي لإشعاعات معينة .

خامسًا : السبب الميتافيزيقي لا يمكن التكهن به ..

ولكن .. ما هو سياق حياتي في الفترة الماضية ؟

هل تعرضت لإشعاعات أو مؤثرات غير عادية ؟

يمكن القول إن آخر صورة رأيت فيها نفسي التقطت في (سويسرا) حين حلمت بذلك الحلم الكابوسي عن الغرباء ..

بعد هذا واجهت جلسة تحضير أرواح في دار (سام كولبي) النصاب اليهودي ، وضعتُ في عوالم (إدجار آلان بو) .

وبعدها حضرت جلسة (التاروت) مع د . (لوسيفر) .
إذن فلو كنت قد تعرضت لمؤثر ما .. فهذا لم يحدث إلا مع (كولبى) أو (لوسيفر) ...
طبعاً لا داعى لأن أضيف أننى لا أحلم فى هذه اللحظات .. وإلا كان الحلم تفسيراً مريحاً جاهزاً ...
إن رأسى يوشك على الانفجار ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو :
كوابيس شنيعة تطاردنى طيلة ليلة أمس ...
تارة أجدنى فى كهف مظلم وسط حشد من الشياطين ، يقومون بتنصيبى رئيساً لهم .. وهو شرف لا أرحب به على الإطلاق .
وتارة أخرى أنا كائن شفاف كف عن أن يكون مادياً .. وأبدأ فى التساؤل بقلق : هل هذا هو الموت ؟!!
وأنا يا رفاق أخشى الموت كثيراً .. ولست من هؤلاء المدعين الذين يرددون فى فخر طفولى : نحن لا نهاب الموت .. كيف لا أهاب الموت وأنا غير مستعد لمواجهة خالقى ؟! .. إن من لا يخشى الموت هو أحمق أو واهن الإيمان .. وكفانى أن (عمر بن الخطاب) ـ رضى الله عنه ـ أعلن أنه يخشى الموت كثيراً .. فأين نحن منه ؟ ..

لهذا يمكنكم تصور شعورى وأنا أحلم بأننى توفيت حقاً ! ..
أصحو من النوم غارقاً فى العرق البارد ، فأدخل الحمام .. وأتأمل وجهى المنتفخ المرهق فى المرآة ...
وهنا أتذكر شيئاً نسيته تماماً .. لماذا لم أعد لمقابلة د . (كاميليا) ؟ ..
كان النسيان قد حاصرنى فى ركنه الضيق المظلم منذ أيام ... فلم يعد عندى متسع للتفكير فيها ...
وقبل أن أتخذ قراراً دق جرس الهاتف ..
هرعت لأرد وأنا ـ كالعادة ـ أتوقع مصيبة ..
سمعت صوت امرأة خشنا كالرجال يسألنى :
ـ د. (رفعت) ؟
ـ .....
ـ هذه أنا .. (كاميليا) ..!
ـ (كاميليا) من ؟
ـ هل نسيت ؟.. قسم الفلسفة .. يوم الثلاثاء الماضى .
يالها من مصادفة ! .. وكيف عرفت هذه السيدة ـ أعنى الآنسة ـ رقم هاتفى ؟ .. وكيف جرؤت على ..
ـ .. مرحبا يا دكتورة .. أنا .. أنا ...

www.liilas.com

- لم نرك ثانية لاستكمال حديثنا الذى لم يبدأ .. رأيت أن أتخذ أنا الخطوة الأولى ..

- و ... ورقم هاتفى ؟

- أعطانيه د . (محمد شاهين) .. كنت أعرف أننى واجدة إياك صباح الجمعة حتمًا ..

- بـ .. بـ .. برافوا !

سألتنى فى لهجة عملية :

- ما هو برنامجك اليوم ؟

- بـ .. برنامجى ؟.. سأطهو طعام الغداء وأصلى الجمعة ثم أعود لآكله .. وبعد ذلك ...

- حسن .. نلتقى فى السابعة مساء عند ...

وذكرت اسم إحدى الكافتيريات .. ثم ودعتنى دون أن تترك لى فرصة الاعتراض ، وأنهت المكالمة ..

شعرت أن اللترات الخمسة من الدم الموجودة فى عروقى ، قد احتشدت كلها فى رأسى .. واحتشد لتران منها فى أذنى ...

هل حقًا سمعت ما سمعته ؟..

لقد عرفت كثيرات بدءًا بفلاحات قريتى وانتهاءً ببنات الأسر العريقة المتحذلقات فى (إنجلترا) .. لكنى لم أر قط هذه الجرأة الوقحة .. التى أثارت حفيظة فلاح (الشرقية) الرابض فى أعماقى ...

وقلت لنفسى : إن هذه العانس تحاول ان تطبق قيودها حول الأحمق الذى جاءها يسعى طالبًا الزواج منها .. هذا هو التفسير الوحيد ..

إلا أننى - فى تمام السادسة مساء - وجدت نفسى أرتدى البدلة الكحلية التى تجعلنى فاتنًا (وهذا رأيى الخاص طبعًا) .. ورباط العنق الذى اشتريته من (نيويورك) .. وقمت بتمشيط الشعر الأشيب على جانبى رأسى بعناية .. لماذا أفعل ذلك ؟ .. يا له من سؤال !..

وفى تمام السابعة دخلت إلى الكافتريا أبحث عنها ... وكانت جالسة فى ركن القاعة إلى احدى الموائد .. تتابع الموسيقا القادمة من مكان ما بحركات انسيابية من يدها ...

الذى أثار هلعى أكثر من غيره هو أنها تمسك بين أناملها لفافة تبغ ! .. أبدًا لن أبتلع فكرة الأنثى المدخنة مهما اتسعت نظرتى لتحوى الكون ذاته ..

يجب أن أفرّ .. يجب ..

لكنى لم أفعل ...

مشيت نحوها وحييتها بهزة من رأسى وجلست ...

قالت بالإنجليزية : إننى دقيق فى مواعيدى ، ثم قدمت لى علبة سجائرها .. فهززت رأسى أن لا ...

- غريب هذا ..!.. قالوا : إنك تدخن كمحرقة الجثث .

- كنت .. أحاول أن أموت بسبب آخر غير هذا .. وعلى كل حال .. من هم الذين قالوا لك ؟

- كثيرون .. إننى أعرف عنك أشياء عديدة ..

جاء النادل يرمقنا بشك ، وعلى ثغره بسمة خبيثة .. فطلبت قدحًا من الليمون ، ثم تذكرت أننى يجب أن أكون سخيًا هذه الليلة .. فطلبت قدحين ..

وبدأت (كاميليا) تتكلم ..

ولم يكن كلامها غبيًا أو مملاً بحال .. فهى تعرف ما تتكلم عنه ..

تحدثت عن الفلسفة وعن دورها فى الحياة . وعن ثقافة المرأة ونظرة المجتمع إلى استقلاليتها .. ، وعن تخلف الفكر الذى يرفض مشاركتها الرجل فى كل شىء .. ثم سألتنى :

- هل تحب الفلسفة ؟

درت بعينى أتأمل الموائد حولنا .. ثم قلت بحذر :

- أعتقد أنها (فن إضاعة الحياة) .. الحديث عن القيثارة بدلا من العزف عليها ..

- إن ما تقوله لهو نوع من الفلسفة ..

- ربما .. لكنى لست فخورًا بذلك ..

برغم كل شىء كنت أشعر بعدم راحة لجلوسى معها ..

لم أمل طيلة حياتى لهذا النمط من النساء المتحديات المستفزات اللواتى يملكن نوعًا من الرجولة لا تخطئه العين ..

قالت لى وهى تشعل لفافة أخرى :

- أردت أن أقول لك : إنك لم تعتد التعامل مع عقل امرأة .. وأنا سأكون عقلاً صديقًا لك .. أعرف أنك تتعامل مع الخوارق بكثرة .. ولسوف تحتاج إلى من يفكر معك ويحلل معك ويقند معك .. دع هذا الدور لى ..

- هل تهتمين بهذه الأمور حقًا ؟

- حتمًا .. ولهذا حرصت على الظفر بصداقتك ..

هل هى جادة ؟ .. إذن فالأمر لا يتعلق بالزواج .. إنها تلعب معى دور الصديق الذكر الذى سيعيننى فى حل مشاكلى ..

وكأنما عرفت ما يدور بذهنى ، قالت محذرة :

- لكنى أنذرك .. إن لقاءنا لقاء عقلين .. فإذا حاولت أن تلعب دور فاتن النساء معى ؛ فإن هذه ستكون نهاية صداقتنا ..

صديق ؟ .. يا له من عرض مغر .. ! .. أنا أحتاج الآن إلى صديق أكثر مما أحتاج إلى زوجة .. لماذا لا أجرب هذا العقل الآن وأصارحها بمشكلتى التى تبدو بلا حل ! ..

Eman www.liilas.com

رشفت جرعة من الليمون ، ورحت أحكى لها قصتى مع الصور الفوتوغرافية .. بينما هى تصغى لى .. عيناها الرماديتان لا تطرفان إذ تحدقان فى عينى بثبات خلف زجاج منظارها ..

ـ وهكذا ترين أننى لا أملك أى تفسير لهذا ..

ساد الصمت برهة .. وكادت تفتح فاها لولا أن سبقتها قائلاً

ـ .. ولا تقولى إننى (وهم) كعادة الفلاسفة .. فأنا لن أفهم هذا السخف ما حييت ...

ابتسمت بثقة .. وغمغمت

ـ قصة غريبة حقًا .. لكن دعنا نتحدث بصيغة فلسفية .. أنت تراتى بمواصفات معينة .. غيرك يراتى بمواصفات أخرى .. ، من هو المحق ومن المخطئ ؟.. من أنا حقًا ؟ .. هل تفهم ما أريد قوله ؟

ـ لا ...

ـ أعنى أن ما رأته الكاميرا هو حقيقتك ..

ـ تعنين أننى شفاف دون أن أبدو كذلك ؟

قالت وهى تدفن لفافة التبغ فى المطفأة :

ـ أعنى أنك تتحول تدريجيًا إلى شبح يا د. (رفعت) .

.....

* * *

٥ ـ عدوّ الشمس ..

السبت ٢٠ يوليو :

صحوت من نومى ، فنهضت لأفتح خصاص النافذة .

وبدلا من أن ينسكب ضوء شمس الصيف البهيج ليفترش الغرفة ، شعرت أن دلوًا من حمض (الكبريتيك) قد انسكب فوق جسدى كله ـ ملايين الإبر الدقيقة تنغرس فى لحمى ...

ماذا أصاب الشمس ؟ .. ماذا حدث ؟ ..

أغلقت النافذة بإحكام ، وهرعت إلى الداخل ..

وأمام المرآة تأملت وجهى ..

لا مجال للشك ! .. إن حروقًا صغيرة من الدرجة الأولى تنتشر على جلدى ، وتحيط العينين وركنى الفم ..

ماذا دهانى وأنا نائم ؟

هل أصبت بحساسية مفرطة تجاه الشمس ؟ .. أم أصبت بالبورفريا ؟

أم .. ماذا أقول ؟ ...

كدت أحاول ثانية لكننى أشفقت على وجهى من مزيد من الألم .. طفقت أدهن وجهى بالجلسرين .. ثم هرعت

Eman www.liilas.com

إلى الهاتف ، وطلبت د. (رأفت) فى داره ..

ـ هذا أنا .. (رفعت) ..

ـ أرجو أن تكون فى مصيبة تبرر إيقاظى قبل موعدى بساعة .

ـ بالفعل .. لقد أصبت بحساسية مفرطة تجاه ضوء الشمس .. ولن يكون باستطاعتى الخروج للعمل .. إننى ....

وارتجف صوتى على الرغم منى :

ـ (رأفت) .. ماذا يحدث لى ؟ .. أنا خائف !

قال فى توتر :

ـ يا للهول ! .. سأكون عندك حالاً يا (رفعت) .. فلا تخش شيئاً .. ووضع السماعة ..

بعد نصف ساعة كان فى دارى ..

شرع يتفحص الحروق فى وجهى باهتمام بالغ .. وازدادت تجاعيد وجهه عمقاً وجدية ...

ثم إنه قال وهو يجلس على الأريكة :

ـ هذا غريب !

فى حنق صحت :

ـ هل هذا هو كل ما تستطيع تقديمه لى ؟

وضع ساقاً فوق ساق ، وغمغم وهو يعقد ذراعيه على صدره :

ـ دعنا نتعقل قليلاً .. أريد أن تحكى لى كل شىء من جديد ..

ـ .....

* * *

ـ .. وهذا هو كل شىء ..

قال وهو ينقل ساقيه :

ـ لاحظت أنك تجاهلت الطالبين ـ الزوج والزوجة ـ تماماً .. ونسيت كل شىء عنهما .. أرى أن تعيد البحث عن حقيقتهما من جديد ، فلربما كانت لهما علاقة بالموضوع ..

ـ يمكن أن يساعدك (مدحت) فى ذلك .. هل تعرفه ؟ ذلك الطالب المعتوه بالفرقة الرابعة .. إنهما زميلاه .. أما فيما يتعلق بى .. فما هو رأيك بالضبط .. ؟

نهض متثاقلاً .. وغمغم :

ـ الأمر يتلخص فى حساسية ضوء شديدة .. لقد رأيت أسوأ منها .

ـ فى ليلة واحدة ؟!

ـ ما أكثر ما يجهله الأطباء ..

ثم تمنى لى حظاً سعيداً ، ووعد بأن يفعل ما يراه صوابًا .. وتركنى وانصرف ..

Eman www.liilas.com

يا للهول !.. لا أريد أن أكون وحيدا .. يحرقنى الإحساس المرير بأن هذه مشكلتى أنا فقط .. أتعذب وحدى .. أجن وحدى .. بينما يعود كل واحد إلى داره مسرورًا ، يحمد الله على أنه ليس أنا ... أريد آخرين بأى ثمن ... !

* * *

أمام المرآه عدت أتامل وجهى ...
هو نفس الوجه الذى اعتدت أن أراه أربعين عامًا ..
ولكن ما سرّ التغير الذى طرأ لخلاياه ؟ ..
ما سرّ هذا التبدّل فى خواص ذاتى ؟ ..

* * *

عدت أطالع قصة (الرجل الخفى) تحفة (ولز) الخالدة .. ، أعرف أننى لست خفيًا .. لكنى كذلك بالنسبة للعدسات .. يا لها من قصة ملهمة ..!

فى هذه القصة تمكن ذلك الطبيب البارع من تبديل معامل انكسار خلايا جسده ، لتصير مماثلة للهواء ..

بالتالى صار شفافًا مثله مثل قضيب الزجاج المغمور فى الماء .. والحقيقة أن هذا الرجل الخفى - الذى كاد يحكم العالم فى القصة - كان أعمى ..! .. نعم أعمى .. لأنه لا يملك خلايا سوداء فى شبكية عينه ، ولقد ارتكب

(ولز) هذا الخطأ الجسيم فى غمار انبهاره بطرافة المحتوى الأدبى للقصة ..

مشكلتى أنا تختلف ...

إن الكل يروننى .. لكن أفلام التصوير لا تستطيع ..

فلو كان معامل انكسارى قد تغير - مثل بطل (ولز) - لصرت خفيًا تمامًا حتى ولو صرت أعمى .. ولما رآنى أحد .

إذن معامل انكسارى كما هو ..

وجودى هو الذى تغير ..

أنا وهم يحسب الآخرون أنهم يرونه ..

أنا شبح يخدع الجميع ولكنه لا يخدع الكاميرا ..

فإذا أضفنا إلى هذا كله ما طرأ من حساسيتى لضوء الشمس ، لقلت : إننى أتحول إلى مسخ حقيقى .. شىء قريب من مصاصى الدماء أو ما هو أسوأ ..

لماذا يحدث لى هذا أنا بالذات ؟ ..

* * *

بعد الظهر تلقيت مكالمة هاتفية من (صديقى) الجديد ..

- هاللو ! .. (رفعت) ؟ .. أنا (كاميليا) ..

- ليس صعبًا أن تعرفى أننى (رفعت) .. فلا أحد

Eman www.liilas.com

سواى يعيش هنا .. وليس عسيرًا أن أعرف أنك (كاميليا) .. فأنا لا أتلقى مكالمات أنثوية بتاتًا ..

- يسرنى أنك لا تحاول لعب دور (دون جوان) ..

- (دون جوان) ؟ .. بمظهرى وحالتى الصحية ؟.. أنا لا أملك مزاجًا يسمح بالمزاح ..

- حسن .. ما هو برنامجك لهذه الليلة ؟

- لا برنامج ..

ضربت لى موعدًا للقاء ، وكالعادة أغلقت السماعة قبل أن أتنصل أو أنتحل أعذارًا ...

لم لا أذهب للموعد ؟ .. أريد أن أرى الشارع وأسمع صوت الناس يتشاجرون ويصخبون .. سيكون الموعد ليلًا ولن تضايقنى أشعة الشمس بالتأكيد ...

وهكذا ...

تجدوننى جالسًا معها فى كافتريا أخرى ، أرشف القهوة وأحكى لها عن الذى أصابنى اليوم ..

لم أعد بحاجة إلى الخيال كى أعرف مشاعر مصاص الدماء ، الذى لا يخرج إلا مع انسدال الظلام ، ولا يعود لداره إلا حين ينذر الفجر باليزوغ ..

قلت لها :

- قلت بالأمس : إننى أتحول إلى شبح .. ما هو فى رأيك سبب هذا ؟

- ربما لأنك فقدت علة وجودك ..

اللعنة على كل هذا الهراء !.. لا أمقت شيئًا قدر أن أجد نفسى وسط متاهات لفظية لا تنتهى ... على الأقل أنا واثق من أننى لم أمت بعد .. وروحى تهيم .. تهيم ؟!.

سألتها فى قلق :

- سمعت أن المتوفين يظلون فترة لا بأس بها يمارسون حياتهم العادية ، غير مصدقين أنهم ماتوا ، وأن الآخرين لا يرونهم .

نفثت دخان لفافة تبغها فى وجهى وقالت :

- تعنى أنك كذلك ؟

- ربما ...

- هذا هراء .. لا تصدق أى حرف عن الموت مما يقوله العامة .. ، مادام أحد لم يعد من هناك ليحكى ما رآه ، فكل هذه تكهنات .. ، كل ما أعرفه أنا هو أنك تنبض بالحياة أمامى .. أراك .. وأسمع صوت لهاثك ... صدقنى فى أن هناك تفسيرًا أكثر منطقية ..

- وما هو ؟

- لا أدرى .. لكننى سأعرفه فيما بعد ...

* * *

Eman www.liilas.com

نفثت دخان لفافة تبغها فى وجهى وقالت :

ـ تعنى أنك كذلك ؟..

الأحد ٢١ يوليو :

كانت ليلة أسود من كل الليالى السوداء فى حياتى محتشدة .. لم أعد بحاجة لرؤية الكوابيس فى أثناء نومى ، لأن حياتى ذاتها صارت كابوسًا متصلاً ..

إلا أننى ـ فليحى التفاؤل ـ نهضت لأفتح النافذة ، آملاً فى أن يكون ما حدث أمس وهمًا أو حالة عارضة !..

أى ى ى ! .. إنه لعذاب لا يوصف ! .. فى هذه المرة شعرت إن جسدى كله يغوص فى فوهة بركان امتلأت بالحمم ..

ألقى بى الألم فوق الفراش .. ثم تحاملت على نفسى فتدثرت بالبطانية ، ونهضت لأغلق بوابة الجحيم هذه ..

ترررررررن ! ..

الهاتف من جديد .. إن تلقى ثلاث مكالمات فى أسبوع لشىء يفوق طاقتى على الاحتمال .. يوشك هذا البيت أن يتحول إلى (سنترال) مركزى . ذهبت لأرد وأنا أعالج بيدى اليسرى كل تلك القشور التى انتثرت فوق وجهى ، وعلى ساعدى الأيمن ..

صوت د . (رأفت) الوقور :

ـ (رفعت) ؟ .. أهذا أنت ؟

ـ لو كان سواى فالبيت مسكون .. و ...

ـ دعك من السخرية .. وقل لى .. بخصوص هذين الطالبين المتزوجين اللذين تحدثت عنهما .. قلت لى فى أية فرقة ؟

ـ الثالثة على ما أظن ..

ـ حسن .. (مدحت) لا يعرفهما .. لا أحد يعرفهما فى الكلية بأسرها .. بل يؤكد الجميع أن شخصين بهذه المواصفات لم يكونا فى رحلة القناطر .. لابد أن هناك خطأ ما ...

ولكن .. خطأ .. مستحيل !

هل فقد الجميع عقولهم ؟

ربما أننى قد جننت أو فى طريقى إلى ذلك ..

والدكتور (رأفت) لم يزل يتكلم .....

* * *

٦ ـ هو ..

الأحد ٢١ يوليو [بقية] :

لن أطيل وصف حالة انعدام الوزن التى شعرت بها ، بعد هذه المكالمة اللعينة .. أنت تفهم ما أريد قوله دون أن أتعب نفسى ..

لقد رأيت هذين الزوجين بعينى ..

سألت عنهما .. سألت كثيرين ـ و (مدحت) من بينهم ـ فقيل لى : إنهما زوجان حديثا الظهور فى الكلية .. بل والتقطت لهما صورة ..

كيف ينكر الجميع الآن وجود هذين ؟ .. هناك مؤامرة عامة لجعلى أفقد عقلى ، أو ربما أنا فقدته بالفعل ..؟! ..

ولكن ... الصورة ! ..

هذا حق .. الصورة التى التقطتها عندى ، وفيها يبدو وجهاهما كأوضح ما يكون ...

هذه الصورة دليل لا يُدحض على صدق ما رأته عيناى وسمعته أذناى ...

هرعت إلى الخزانة ، وشرعت أبحث فيها حتى

Eman www.liilas.com

وجدت مجموعة الصور .. شرعت أفتش بلهفة حتى وجدت الصورة ..

الحمد لله ! .. الآن أرى وجهيهما .. كنت سأنتحر حتمًا - بعد أن أفقد عقلى - لو لم أجدهما فيها ، أو لم أجد الصورة أساسًا ..

إذن أنا محاط بمجموعة من الكاذبين ..

إلا أن شيئًا من القلق ظل يخامرنى .. ذلك النوع من القلق الذى يدفع المرء دفعًا إلى أن يخرج من شقته (لحسن الحظ أن مدخل الشقة معتم خال من الضوء) .. يتجه بخطى ثابتة إلى شقة جاره (عزت) .. يقرع الجرس ..

ينفتح الباب عن وجه (عزت) الكئيب الشبيه بمرضى الفشل الكلوى المتقدم .. ، مازال هو هو فيما عدا خصلة صغيرة من الشعر نابتة فى أسفل ذقنه .. يحاول بها أن يبدو عبقريًا شاذًا ..

كان بعدُ نائمًا كما هو واضح ، وأدركت أنه مازال وطواطًا آدميًا .. بومة بشرية تصحو ليلًا وتغفو نهارًا .

- (رفعت) .. ألا تنام أبدًا ؟

- وأنت لا تصحو أبدًا .. أريد أن أسألك عن شىء ..

ودسست الصورة تحت أنفه .. وقلت :

- صف لى ما تراه هنا ...

قرب الصورة من عينيه .. وتثاءب .. ثم غمغم :

- أرى كتفًا .. ثم .. هآ آ آه !.. ثم حديقة .. هل هذه الصورة ملتقطة فى الإسكندرية ؟ ربما (أنطونيادس) ؟.. ولكن .. لا .. على كل حال ما أهمية الكتف الذى يوقظنى فجرًا بهذا الشكل ؟

تساءلت فى إلحاح :

- فقط ترى كتفًا ؟ .. أين الفتى والفتاة فى هذه الصورة ؟

أعاد التأمل ثم غمغم :

- هل هى أحجية ؟ .. لا يوجد فتى وفتاة هنا .. !

انتزعت منه الصورة دون كلمة أخرى .. واستدرت عائدًا إلى شقتى .. متجاهلًا صوته الذى وصل لمسمعى يردد :

- هذا الرجل ليس على ما يُرام ..

نعم .. أنا هو هذا الرجل ..

فما إن أغلقت الباب على نفسى ، حتى رحت أردد أننى لا ينبغى أن أجن .. لا يجب أن أفقد صوابى ..

أولًا : اختفيت أنا تمامًا من الصور بشهادة الجميع .

ثانيًا :اختفى الزوجان تمامًا عن الجميع عدای ، ولا يزعم أحد أنه رآهما أساسًا ..

* * *

Eman www.liilas.com

رب قبح عند (زيد)
هو حُسنٌ عند (بكر)
فهما ضدان فيه ..
وهو وهم عند (عمرو)
فمن الصادق فيما يدعيه ؟ .. ليست شعرى ..
ولماذا ليس للحس قياسٌ ؟ ..
... لست أدرى ...

(إيليا أبو ماضى ـ الطلاسم)

* * *

صدقت يا صاحب (الطلاسم) ..

أنا أفهم الآن هذه الحيرة الملتاعة .. عدم الفهم لما هو صواب وما هو خطأ .. هل أنا أهذى أم الآخرون يهذون ؟ لعلهم يكذبون .. ولكن ما مصلحتهم فى الكذب ؟ ولماذا يجمعون عليه ؟ .. لا داعى لإضاعة وقتى فى سؤال آخرين عن هذه الصورة .. فأنا أدرك فى أعماق أعماقى أنهم سيقولون الشىء ذاته : لا نرى أحدًا فى الصورة ..

ولكن لماذا أرهق نفسى بحثًا عن تفسير ؟ ..

ما الضرر ـ حقًا ـ من أن أرى الزوجين أو لا أراهما ؟

وما الضرر فى ألا تظهر صورتى على الأفلام ؟ ..

الضرر واضح .. إذ كيف أعيش بقية حياتى ـ إن كان لها بقية ـ عاجزًا عن رؤية النهار ؟! ..

* * *

الاثنين ٢٢ يوليو :

اليوم زارنى (مدحت) حاملًا علبة من ... الشيكولاتة ! ..

يا لك من أحمق يا (مدحت) ! .. أنا لست مريضًا حتى تعاملنى بهذا الأسلوب المعقد ... لكنه قال لى فى مودة :

ـ نفتقدك كثيرًا يا د. (رفعت) .. إن عددًا من الطلبة كان يبغى زيارتك ، لكنى عرضت عليهم أن أقوم بذلك وحدى ، حاملًا تحياتهم وعلبة من الشيكولاتة .. أعرف مدى كراهيتك للزحام ..

ـ وكيف عرفت عنوانى ؟

ـ د . (رأفت) .. هو من أبلغنا بمرضك ..

ثم ابتسم فى ذكاء ، وقال :

ـ ألم أنذرك ؟ .. لابد أنه مرض نادر يفقد المريض قدرته على الظهور فى الصور !

ـ لا أعرف مرضًا مماثلًا سوى الموت .. !

وجلبت له بعض المياه الغازية .. ثم جلست أرمقه وهو يجرعها محاولًا أن أسبر غوره ..

Eman www.t-lib.com

ـ (مدحت) ..

ـ نعم يا د . (رفعت) ؟

ـ لماذا كذبت ؟!

تقلص وجهه استبشاعًا للتهمة .. ونظر لى غير مصدق .. فقلت له ضاغطًا على مقاطع الكلام .

ـ أنت كذبت .. ، والآن لا يوجد هنا سوانا ولن يسمعك أحد .. أريد منك أن تفسر لى سرّ إنكارك رؤية هذين الزوجين فى رحلة القناطر .. ، أنت رأيتهما .. وأجبت على سؤالى عنهما .. وقلت : إنك تعرفهما منذ فترة .. فكيف تقول الآن : أن هذا لم يكن ؟

بدت الحيرة على ملامحه ، ووضع الكأس جانبًا ليقول :

ـ أنا لا أفهم يا د . (رفعت) .. لو كان شىء من هذا قد حدث فأنا لا أذكره .. لا أعرف طالبين متزوجين فى هذه السن المبكرة ، كما لا أذكر أننا تبادلنا كلمات كثيرة فى أثناء الرحلة ..

ـ مرة أخرى تكذب !

بدا عليه الارتباك ، فهو لا يعرف ما يقول .. وبعد هنيهة غمغم :

ـ لا أدرى لماذا تهتم يا سيدى بهذين .. إن المشكلة

الحالية بالنسبة لك هى مشكلة (التلاشى الفوتوغرافى) .. وكنت ...

ـ أنا من يحدد مشكلته لا أنت !

ـ أعنى أننى لم أعر هذا الموضوع اهتمامًا .. و ...

نهضت فى عصبية ، فرفعت الصينية التى كانت أمامه بما عليها من بقية زجاجة المياه الغازية .. واتجهت للمطبخ ..

قال فى ارتباك :

ـ لكنى لم أفرغ بعد من ...

صحت وأنا أعود ، وأجذبه من ذراعه لينهض :

ـ لا أراك مستحقًا لشربها .. والآن دعنا نتفق على أنك شخص غير مرغوب فيه هنا ، ولن استطعت الإمساك بكذبك فلسوف أنسفك نسفًا ..!

وبحركة مسرحية أشرت للباب :

ـ اخرج ! .. اخرج !

كاد الانفعال يدفعنى إلى أن أقول له : اخرج يا عدو الله ! ، كما كانوا يفعلون فى مسرحيات (يوسف وهبى) القديمة ، لكننى تمالكت نفسى .. فاكتفيت بالمقطع الأول .

ـ ولا تنس هذه !

ووضعت علبة الشيكولاتة تحت إبطه ، وقدته إلى

www.liilas.com Eman

الباب .. بينما هو يردد عبارات مختلطة بلا معنى ربما هى اعتذار .. أو محاولة لفهم الموقف .. المهم أنه خرج خروجًا مهينًا .. للأسف لم أجرؤ على ركله فإن هذا كان سيريحنى كثيرًا ...

إن الذى يكذب عليك فى وجهك عالمًا أنك تعرف كذبه ، لهو إنسان فذ .. إنسان جدير بحطب جهنم ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :

فى ساعة مبكرة من النهار اتصلت بى د . (كاميليا) تسألنى عن حالى ، نسيت أن أقول هنا إنها تعانى من الفراغ مثلى لأنها تعيش وحدها .. والداها متوفيان .. وأخواتها متزوجات .. وأنا واثق بأنها هشة تمامًا تحت قناعها المتسلط الواثق من نفسه .. وأنها بحاجة لإنسان .. أى إنسان ..

ـ لم تذهبى للعمل اليوم إذن ؟!

ـ اليوم إجازة .. عيد الثورة .. أم لعلك نسيت ؟

ـ لقد فقدت اتزانى حقًا .. لم أعد أنكر من أنا ..

ضحكت تلك الضحكة العالية الرنانة المميزة لهاته النسوة الهستيريات .. وقالت :

ـ ما هى أخبار التحول الشبحى ؟!

ولفظت كلمة (تحول) باللاتينية (ميتامورفوزس) كعادتها ، وأنا أجد هذا الأسلوب استعراض ثقافة لا أكثر .. ما هو عيب لفظة (تحول) وما الصعوبة فى نطقها ؟!..

قلت لها ..

ـ المزيد من تساقط الجلد .. وأنباء محيرة للغاية ..

ـ عن هذين الطالبين ؟

ـ وكيف عرفت ؟

ـ ربما منك ..

ودار الحديث لفترة لا بأس بها .. لا أذكر حقًا عم تحدثنا ، لكنها كانت تسلية معقولة ..

بعد انتهاء المكالمة ، دق جرس الهاتف ثانية .. لم يعد هذا البيت (سنترالاً) مركزيًا .. بل هو أقرب إلى مركز إسعاف .. فلتر من هذا المتطفل :

ـ صباح الخير يا (رفعت) .. هذا أنا .. (رأفت) .

ـ أخيرًا .؟ حسبتهم أخذوا الهاتف من دارك ..

ـ ما هذا الذى فعلته مع (مدحت) ؟ .. لقد حكى القصة فى كل مكان ، والكلية كلها تتساءل عن حالتك العقلية .. يقولون : إن ولعك بالخوارق قد بدأ يؤثر فى مخك ..

ـ لقد استحق هذا .

تنهد فى صبر .. وقال :

ـ لم يحدث فى التاريخ أن طرد أستاذ تلميذه الذى جاء يحمل له أمنيات زملائه بالشفاء .. حتى لو كان هذا الأستاذ هو د. (فرانكنشتاين) نفسه ..

لم أردّ .. فقال وهو يحاول أن يهدئ من لهجته :

ـ على كلّ .. حاولت أن أحسن الوضع بقولى : إن مرضك قد جعلك عصبيًا ..

ـ لا بأس .. إنها لحقيقة ..

وفى هذه الثانية دق جرس الباب ، فاعتذرت من (رأفت) طالبًا أن يمهلنى ريثما أرى من هناك ...

وأزحت الرتاج ونظرت إلى خارج الباب المفتوح ..

رأيت شابًا أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذى يسمونه (ألبينو) .. أو عدو الشمس ...

وفى اللحظة التالية أدركت أنه هو ..

هو ...

الذى بدأت به هذه المأساة ... !

* * *

رأيت شابًا أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذى يسمونه (ألبينو) ..

مذكرات (آشتا)

هذا الجزء غير مكتوب على ورق ، ولم يُستخدم الحبر فى كتابته .. بل هو نوع من الرؤى ، أو الإيحاءات التى هى إلى الهواجس أقرب ..

١ - غير المدعوين ..

١٨ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

ربما أنا أول مواطن من (أرض الأطياف) يجلس ليكتب مذكراته .. وهى لعمرى عادة غريبة يمارسها (الماديون) أحياناً كأن حياتهم ملحمة تستحق التدوين ..

متى جئت إلى هذا العالم ؟ .. لابد أن هذا حدث من زمن سحيق إلى حد أننى نسيت كل شىء عنه ..

إن تاريخ شعبنا لقديم للغاية .. ربما منذ اللحظات الأولى لوجود هذا الكون نفسه .. ، ونحن الآن ـ فى عام الوميض ٣٢١٥٦٩ ـ مازلنا لا نعرف الكثير عن نشأتنا ...

كل ما نعرفه أننا كنا هنا دائماً ...

نحن نعيش مع (الماديين) ، جوارهم .. أمامهم .. خلفهم .. فى كل مكان يذهبون إليه .. لكنهم لا يروننا .. ربما لأن هناك عيباً شنيعاً فى عيونهم ، أو فى قدرتهم على التخيل ..

أعرف أنهم يؤمنون بوجود الجان ، ولكن أحدهم ـ مهما بلغ من قوة تخيل ـ لعاجز عن تخيل وجود كائنات أخرى غير مادية فى كل موضع ...

Eman www.Liilas.com

إننا نحيا فى ديارهم .. لماذا نبنى بيوتًا خاصة بنا مادام هناك من فعل ذلك لنا ؟ ..

لكم سيدهشون ! .. هذا الأعزب الذى يعيش وحيدًا كذئب متفرد ماذا سيقول .. وماذا سيفعل .. لو تصور لحظة واحدة أن هناك أسرة من عشرة أفراد تشاركه السكن تحت سقف داره ؟! ..

حتى مواصلاتهم نركبها ، ولو أن المواصلات لا تمثل مشكلة بالنسبة لشعب الأطياف .. لأننا نوجد حيث نريد متى نريد ..

لا مشكلة هنالك بالنسبة لشعب ينتقل عبر الأثير ، مخالفًا كل القواعد الطبيعية وقوانين المادة .. ، لقد اقترب بعض (الماديين) من الحقيقة .. منهم (آينشتاين) الذى قال : إن الكتلة تتلاشى إذا وصلت لسرعة الضوء ، و (ستيف هوكنز) العالم القعيد الذى تحدث عن الثقوب السوداء .. كلاهما اقترب من الحقيقة .. لكنه لم يلمسها حقًا ..

ومن الواضح طبعًا أن أحدًا من (الماديين) لم يفهم عم تحدث هذان العالمان المنهمان ، وماذا أرادا قوله بالضبط .

نحن نعيش حول (الماديين) فى كل مكان تقريبًا ..

تعدادنا يفوق البلايين .. نعرف ونلاحظ كل شىء دون أن يتخيل أحد مجرد وجودنا ..

قد يبدو هذا إلى حدّ ما شبيهًا بما يقوله البشر عن (القرين) .. لكن الموضوع يختلف تمامًا ، ولعمرى هذا هو ديدن (الماديين) الدائم .. إنهم يضعون السحر والأشباح والجان والشياطين والأرواح والتجسدات .. كلها فى سلة واحدة .. ويخافونها كثيرًا !! .. بينما نحن نختلف بشدة عن هؤلاء .. وأبسط اختلاف هنا هو أن أحدًا لم يسمع عنا قط ...

* * *

١٩ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

اسمى هو (آشتا) .. أبى يُدعى (آشتا) وأمى تدعى (آشتا) .. (آشتا) هو الاسم الذى يطلق على كل شىء وكل فرد فى عالمنا .. (آشتا) هو اسم الشهور كلها .. و (آشتا) هو اسم فصول السنة كلها .. و(آشتا) هو اسم حاكمنا .. ورئيس وزرائنا .. وكل سفرائنا ..

تسألنى - بعقلك المادى المتحجر - عن الفوارق بين كينونة وأخرى فى عالمنا .. أقول لك : إننا نعرف ما نتكلم عنه .. لأن الكلام ليس من عيوبنا .. إن وجودنا هو وجود الأفكار ذاتها .. (التخاطر) - كما تسمونه - هو

Eman www.liilas.com

لغتنا الوحيدة .. وحين أفكر فى حبيبتى (آشتا) ، يكون الجميع على علم بمن أعنيه بـ (آشتا) .. لأن الجميع يرون صورتها فى أذهانهم .. والآن دعنى أقص عليك تفاصيل يوم فى حياة رجل من (أرض الأطياف) .

أعيش هذه الأيام فى دار مستشار متقاعد .. عجوز لطيف المعشر رقيق الحاشية .. يقضى سنوات ما بعد المعاش فى مشاهدة التلفزيون بعد ما تزوج أطفاله ، ونسوا أمره تمامًا .. وتوفيت زوجته .. وهو الآن ينتظر النهاية فى صبر ...

لكن هذا الرجل الذى لا يخشى الموت ، سيموت هلعًا لو عرف أن هناك من يشاركه المسكن .. بل والفراش ليلًا .. ! ..

نعم .. أين تتوقع منى أن أنام مادام بالبيت فراش واحد ؟! .. صحيح أن الرجل يغط فى نومه كضفدع .. وصحيح أنه يدخن كثيرًا ، لكنى أتحمل كل هذا ...

أصحو فى الصباح لأقرأ الصحف معه ـ من فوق كتفه ـ وأنا سعيد لبطء قراءته ..

ثم يجلس إلى مائدة الإفطار ، فأجلس معه ..

وهنا الفارق الهائل بين (الماديين) والأطياف .. (الماديون) يلتهمون الفول والطعمية والجبن ، بينما

نحن الأطياف نلتهم الأفكار المنسية والذكريات .. هذا الركام الذى ينساه (الماديون) فى أركان عقولهم هو طعامنا ..

لهذا نحن مولعون بالأشخاص ضعاف الذاكرة ، فهم يقدمون لنا طعامًا روحيًا لا ينفد .. أحيانًا تكون الأفكار فاسدة أو مسمومة من ثم نصاب بنزلة معوية حادة .. (كدت ألقى حتفى ذات مرة حين أكلت أفكار أحد الصحفيين المشاهير !) ..

وحين ينهض مضيفى من المائدة .. أكون قد امتلأت حتى التخمة .. ويكون هو قد نسى شيئًا جديدًا ...

ويفكر الرجل فى الخروج لرؤية الشمس بالخارج .. هنا أكف عن ملاحقته ..

فالشمس هى عدونا الأزلى ، وهى قدس الأقداس بالنسبة لنا .. لقد خاف المصريون القدماء التمساح .. وربما لهذا عبدوه وجعلوه ينتظر الخطاة ليلتهمهم فى العالم الآخر ..

يبدو أن شعب الأطياف فعل ذات الشىء .. كنا نخاف الشمس لأنها تبددنا وتحرقنا .. من ثم حرمناها على أنفسنا .. لكننا بجلناها واحترمناها .. ، وفى عقيدتنا أن من يتكلم عن الشمس يُنفى إلى عالم الضوء (سو) إلى أبد الآبدين ..

www.liilas.com

لهذا يعيش شعب الأطياف حياته كلها فى الغرف المغلقة المظلمة .. أو فى ضوء (النيون) المعقم البارد ...

لكننى كنت أشعر بعدم الراحة ..

كنت بحاجة إلى أن أعرف أكثر ...

يقول (الماديون) فى أساطيرهم : إن (بروميثيوس) البطل الإغريقى كان متشوقًا إلى معرفة سر النار .. النار المقدسة التى تشتعل فى جبال (الأوليمب) .. لهذا سرق قبسًا منها ، وعلم البشر جميعًا كيف يصنعون النار .. (والنار هنا طبعًا هى رمز للمعرفة) .. من ثم انتقم منه سادة (الأوليمب) بأن أرسلوا إليه (بندورا) .. المرأة الفاتنة .. المرأة الفضولية التى جلبت الوبال على الجميع ..

أعرف هذه الأسطورة لأننى قرأتها فى كتاب نسيه مضيفى مفتوحًا على مكتبه ..

كنت أنا ـ مثل (بروميثيوس) ـ ظامئًا إلى المعرفة .. ظامئًا إلى سر النار المقدسة : الشمس ...

وكانت لدىّ (بندورا) أنا الآخر .. هى (آشتا) ...

هل أصفها لك ؟ .. تريد ذلك ؟ .. هأنتذا تنسى يا صديقى أننا غير ماديين .. وأنه من المستحيل أن أقول

لك : إن شعرها كان لونه كذا .. وعينيها كان لونهما كذا .. و ... و ...

كانت طيفًا .. طيفًا رقيقًا .. أفكارها رطيبة منعشة كالنعناع (هل يقرّب هذا الصورة من ذهنك ؟ .. كل (الماديين) يحبون النعناع) .. وكانت لى وحدى .. لى منذ الأزل ..

كل شىء كان يؤكد أننى و (آشتا) سنمتزج الامتزاج المقدس النهائى ، الذى تنبعث منه أضواء وليدة تغدو أطيافًا أخرى .. الكل كان يبارك امتزاجنا .. (آشتا) و(آشتا) و(آشتا) و(آشتا) و(آشتا) .. حتى (آشتا) وافق بعد تردد على امتزاجنا ..

الليلة ألقاها فى حديقة الحيوان .. وأيتها عواطفى .

* * *

الظلام يسود حديقة الحيوان .. إنه منتصف الليل .. زئير النمور يتعالى فى أقفاصها .. هذا طبيعى .. فالحيوانات ترانا بوضوح تام .. إن القطط تموء حين ترانا وتنظر لأعلى .. والكلام تتوتر وتصدر زئيرًا مكتومًا ..

لا أحد من البشر هنا ... وحبيبتى (آشتا) قادمة تنساب فوق الأعشاب .. نحوى .. أشعر سرورًا فى روحها .. وألقاها بمثله :

www.liilas.com

لا أحد من البشر هنا ..، وحبيبتى (آشتا) قادمة تنساب فوق الأعشاب ..

- ..... !

- ..... !

آه ! .. معذرة ! .. نسيت أننى أحدث الأميين الذين لا يجيدون قراءة الأفكار .. ليكن .. سأحاول أن أترجم الحوار لكم :

- حبيبى (آشتا) ! ..

- حبيبتى (آشتا) ! ..

- متى يكون الامتزاج النهائى ؟ .. إلى متى نعيش فى دارين متباعدتين ؟

- حينما يقرر (آشتا) الأكبر ذلك ..

تقول وهى تفكر فى أشياء مبهجة للغاية :

- سئمت الحياة مع هذه (المادية) الكريهة التى أقطن دارها .. إنها لا تكف عن قراءة مجلات الموضة ، ووضع المساحيق على وجهها أمام المرآة .. لماذا تعتقد أن جسدها يستحق كل هذه العناية لمجرد أنه ذو كتلة مادية ؟! .. ثم هى تكذب .. وما إن تخلو بنفسها حتى تتحول إلى شيطان ..

- آه يا ملاكى ! .. إن فى حوذتنا من أسرار البشر ما يكفى - لو أعلن - لانتحارهم جميعًا ثلاث مرات ..

قالت وهى تفكر فى الجمال المطلق :

ـ حين نمتزج سنذهب لنعيش فى فندق من ذوى النجوم الخمسة .. لابد أن هناك حجرة خالية من الأطياف .. فى أحد الفنادق ..

ـ للأسف إن هذا العالم مزدحم بالجان والأروح والشياطين ـ إلى جانب البشر طبعًا ـ إلى درجة أنه لا يوجد موطئ لقدم .. كيف لو عرفت (المادية) التى تعيشين عندها أن غرفة نومها يغفو بها عشرة آلاف مخلوق غير مرئى ؟ ! ..

ـ آه ! .. ستموت هلعًا بالطبع .. ولن يضايقنى هذا كثيرًا ..

قلت لها وأنا ألمس كيانها فينبعث ذلك الضوء الأخضر الغامض الذى حير العلماء .. فتارة سموه (ضوء سانت إلموس) فى المناطق القطبية .. وتارة حسبوه ضوء حشرات مضيئة ، ولم يعرفوا أنه ضوء الحب .. قلت لها :

ـ إننى أعتزم القيام بمشروع غير عادى ..

ـ وما هو ؟

ـ أريد أن أعرف المزيد عن الشمس ! .. أن أراها !

ـ هل جننت يا (آشتا) ؟.. كيف تجرؤ على لفظ كلمة شمس ... أعنى قدس الأقداس !

ـ لا يمكن أن أعيش حياتى دون أن أفهم ما هى ..

ـ ستحرقك بنيرانها .. ستتلاشى ..

ـ ومن أدراك أن هذا سيحدث ؟ .. علمونا هذا منذ الصغر .. ولكن أحدًا لم يجرؤ على المحاولة ..

ـ لقد فقدت صوابك !

ـ أريد أن أفعل مالم يفعله السابقون .. لأكون جديرًا بك وموضعًا لفخرك الدائم ..

ـ لن أفخر بك وأنت تخالف قانوننا الأزلى ..

قلت لها وأنا أتأهب للرحيل .

ـ غدًا فى الصباح الباكر أخرج إلى الضوء .. لأرى الشمس وأنعم بها .. فلئن هلكت فعزائى أننى هلكت وأنا أعرف ..

وابتعدت عن مجال أفكارها ...

* * *

٢٠ (آشتا) عام ٣٢١٥٩٩

اليوم قد يكون آخر أيام حياتى ، وقد يكون أهمها ..

اليوم أعرف إلى الأبد ما تعنيه لفظة (شمس) ..

اليوم أتسلل عبر خصاص النافذة المغلقة إلى الخارج .

ومثلما فعل (بروميثيوس) .. أضحى بحياتى من أجل المعرفة ..

(بروميثيوس) قضى بقية حياته معلقًا بين جبلين يلتهم الرخ كبده فى كل يوم .. وفى الليل ينبت له كبد جديد .. لتتكرر المأساة.. فماذا سيحدث لى أنا ... ؟

* * *

٢ ـ المارق ..

٢٠ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ [بقية] .

(سو) ! .. (سو) ! ..

الضوء الساطع الذى جعلونا نخافه ونحتقره .. (سو) ! القرص الذهبى المشتعل يسكب حنانه ودفأه فوق الأرض الثكلى ..

لم أحترق .. لم أتلاش .. فقط عرفت السرّ .. فهمت حقيقة هذا الكون .. الإحكام المطلق فى كل شىء .. الخالق الأعظم سخّر هذا القرص ؛ كى يهب الأرض الحياة .. إن هذا ...

وفى لحظة تالية تلاشى كل شىء ..

وجدت نفسى أقف فى قاعة شاسعة ملأى بالبشر الذين يتناقشون فى قضية ما .. ، ووجدت حولى عشرات الأطياف تحيطنى .. وفى ذهنهم سمعت لفظة واحدة : العقاب !..

وعرفت أين أنا .. أنا فى قاعة بمبنى الأمم المتحدة يتخذها شعب الأطياف للمحاكمات الكبرى..

وكان البشر غارقين فى جدل شديد حول حرب (فيتنام) وإلزام الحكومة الأمريكية بالانسحاب .. فى نفس وقت محاكمتى ..

أما نحن الأطياف فكان حوارنا الفكرى مختصرًا :

ـ أنت يا (آشتا) خرقت قانون الأطياف .. وتحدثت مع (آشتا) عن الشمس .. بل وحاولت رؤيتها .. !

ـ كنت أريد أن أعرف .. وعرفت .. وهأنذا لم يصبنى ضرر ..

ـ لقد هدمت قدس الأقداس عندنا ..

وهنا صباح أحد البشر فى هستيريا .

ـ إن حكومة (سايجون) تحاول تبرير إمبرياليتها !

ـ أنت يا (آشتا) قد خرقت القانون عمدًا .. وجريمتك لا يمكن الدفاع عنها أو تفنيدها ..

البشرى مازال يصيح فى البشر الجالسين حوله :

ـ نعم .. جريمة لا يمكن تفنيدها .. !

ـ لهذا يا (آشتا) .. عقوبتك هى النفى مع (آشتا) التى شاركتك التآمر .. النفى إلى عالم الضوء (سو) بلا رجعة ..

ـ هذه الصور تثبت تورط السوفييت فى مهاجمة القوات الأمريكية !

ـ ستكتسب أنت و (آشتا) مظهرًا ماديًا هشًا .. وتعودان إلى العالم المادى لتعيشا هناك .. أنتما لن تعودا طيفين .. ستفقدان (لاماديتكما) إلى الأبد ...

www.liilas.com

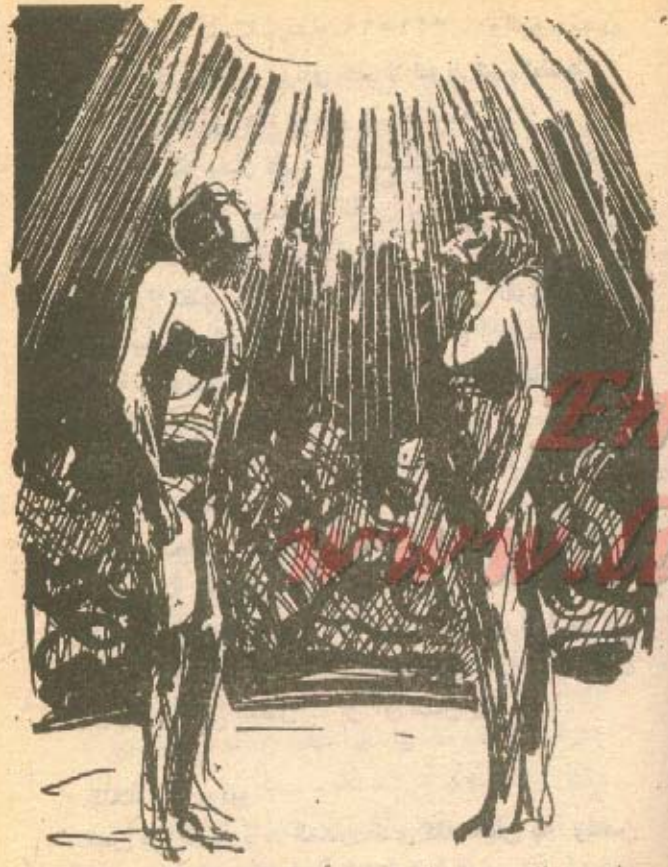

الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شابًا وفتاة على قدر لا بأس به من الوسامة ..

Enan www.liilas.com

ـ الرحمة يا (آشتا) الأكبر ! .. ليس هذا !

ولكن (آشتا) الأكبر كان صارمًا ...

ولمحت (آشتا) العزيزة .. أفكارها ملأى بالهلع والتوسل .. كانت تتألم .. وعرفنا أننا سنصير بشرًا .. وأن أحدًا لن يرحمنا ...

* * *

الأحد ٥ يونيو :

تم التجسد فى إحدى الحدائق العامة .. وكان الوقت ليلاً ..

الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شابًا وفتاة على قدر لا بأس به من الوسامة .. لكن ـ للأسف ـ حدث خلط فى أصباغ الفتى ، من ثم جاء شاحب البشرة .. من النوع الذى يسميه (الماديون) عدو الشمس .. أما (آشتا) فكان تجسدها موفقًا ..

ووقفنا نرمق جسدينا فى حيرة .. للمرة الأولى أرى (آشتا) الفكرة المجردة ، وقد صارت فتاة جميلة .. كيف عرفت أنها جميلة ؟ .. لا أدرى .. يبدو أننى فقدت (لامادیتى) للأبد حقًا ...

كانت تبكى وتولول .. لم لا ؟ ..

لقد كانت الأحداث عاصفة .. منذ ثانية كنا فى اليوم

العشرين من (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ .. واليوم نحن في اليوم الخامس من يونيو عام لا أدرى كم بالضبط ..

أنا من جلب لها هذا الوبال ... البائسة ! ..

على أننا كنا بحال طيبة .. المشكلة الوحيدة هى أننا نعرف حدود هذين الجسدين اللذين يغلقاننا ..

أولا : لا تترك هذه الأجساد ظلاً ..

ثانيًا : لا تظهر هذه الأجساد فى الصور الفوتوغرافية [حاليًا يحاول العالم العظيم (آشتا) أن يحلّ هذه المشكلة بتطوير نوع الأنسجة التى تحيط بالطيف .. لكن أحدنا لن يستفيد من هذا الاختراع !] .

ثالثًا : لا تحتمل هذه الأجساد الشمس بصورة مطلقة .. إن الشمس الساطعة تجعل جلدنا يحترق .

رابعًا : تحتاج هذه الأجساد إلى طعام ، ولا يمكنها التنقل بحرية كما كان متاحًا لها ..

خامسًا : يمكن جعل هذه الأجساد غير مرئية لبرهة محددة.. وهذا يفيد فى وقت النوم أو الراحة ، فلن نكون بحاجة إلى مسكن .. إن أى مكان يناسبنا ..

* * *

الثلاثاء ٧ يونيو :

- نحن فى القاهرة .. المكان الذى كنا نعيش به ونحن طيفان .. لكن من أين نبدأ الحياة إذن ؟ ...

نحن نعرف الكثير عن البشر .. فنحن نراقبهم طيلة حياتنا .. إن سننّا ومظهرنا لا يصلحان إلا للتصنيف تحت قائمة واحدة : طلبة الجامعة .. لهذا .. ولنتمكن من ممارسة حياة طبيعية فى هذا العالم المروّع ، لابد أن نلتحق بجامعة ما .. ونزعم أننا زوجان .. هذه هى الطريقة الوحيدة كى نبرر عزلتنا الدائمة .. كون (آشتا) متزوجة سيحميها من ملاحقات كل الأوغاد الذين يظنون أنهم ذوو فتنة .. وكونى متزوجًا سيفسر عدم رغبتى فى مصادقة أحد ...

وهكذا ...

قمت بتزييف أوراق تقول : إننا طالبان فى كلية طب (...) ، إن كل شىء هين بالنسبة لمن يستطيع أن يكون غير مرئى ..

وبدأنا نحاول الاندماج فى الحياة الجامعية ..

حاولنا أن نقنع أنفسنا بأننا سعيدان بكوننا (ماديين) .

ولكن يا لفضول هؤلاء القوم .. !

فى كل مكان تذهب إليه ، تجد عشرات العيون الفضولية ترمقك فى غير ود .. فأكاد أصرخ : ماذا تريدون منا أيها الأوغاد ؟!

www.liilas.com

تدخل إلى مكان ما فيرمقونك فى ذهول ، ولسان حالهم يقول :

تبًا ! .. إنه يدخل ! ..

ثم تجلس فترى العيون تكاد تثب من محاجرها ، لسان حالهم يقول : ياللهول ! .. إنه يجلس أيضًا !.. أية جرأة !

أما تناولك لمشروب غازى فإنه يجعلهم يموتون من الذهول ، وهم لا يصدقون أنك قد بلغت هذا المدى البعيد !

لماذا لا تتركوننا وشأننا أيها الحمقى ؟! ..

* * *

الخميس ٩ يونيو :

الفضول يغمر الجميع فى الكلية بشأننا .. أحد الظلبة المولعين بالتدخل فيما لا يعنيهم جاءنا يعرض خدماته ، لكنه فى الواقع يحاول معرفة (كنهنا) بالضبط .. عرفت أن اسمه (مدحت) ...

قال لنا : إن هناك رحلة تقوم بها الكلية إلى القناطر الخيرية يوم السبت القادم ، وأصرّ على أن نشترك معهم ، لأننا ـ كما قال ـ نيدو أميل إلى الانطوائية ، والانطوائية ـ كما قال ـ هى فطر سام ينبل فى النور والهواء ...

سألت (آشتا) بالتخاطر الذى لم نفقده بعد :

ـ ما رأيك ؟

ـ لم لا ؟.. يجب أن نندمج فى هذا العالم بأى ثمن .. نحن لم نعد من شعب الأطياف .. لابد لنا من مكان ما .

ووافقنا على الرحلة .. كنا نستشعر الوحدة .. فقد حرمنا من رؤية الأطياف الأخرى للأبد برغم أننا نعرف أنهم يروننا .. ويحيطون بنا طيلة الوقت ..

ترى ماذا يقولون عنا الآن .. ؟

* * *

السبت ١١ يونيو :

كانت تجربة مريرة ، الجلوس فى حافلة يملؤها الصخب ، وضجيج البلهاء .. وعرفت و(آشتا) أننا لن نتأقلم مع هذا العالم أبدًا .. إلا أننا شعرنا بارتياح لمشرف الرحلة .. وهو أستاذ جامعى يُدعى (رفعت إسماعيل) .. رجل نحيل كالأفاعى .. كئيب متعكر المزاج كخرتيت .. يدخن بإفراط كبركان ...

كان يجلس وحيدًا يرمق كل هذا فى اشمئزاز ..

وشعرنا أننا ـ على الأقل ـ وجدنا واحدًا يشاركنا مشاعر الغربة ..

لكن ظننا خاب حين وصلنا إلى مقصدنا ..

فقد تكشف هذا الرجل عن فضولى غير عادى ،

Eman www.ffilas.com

لا يكف عن مطاردتنا بنظراته كلما ذهبنا هنا أو هناك ..

وازداد الأمر سوءًا حين أخرج كاميرا فوتوغرافية ، وشرع يحوم حولنا كقط حذر ..

وأدركت مقصده على الفور .. إنه يحاول أن يلتقط صورة لنا لغرض فى نفسه ! .. يجب منعه بأى ثمن .. وإلا سيفتضح أمرنا تمامًا .. محاولات عديدة بذلها .. ومحاولات عديدة قررنا بها . لكن قرارنا لم يزده إلا إصرارًا ..

وجاءت اللحظة التعسة حين نجح فى اقتناص صورة لنا ، من وراء كتف طالب كان يخفيه عنا .. يا للكارثة !

قالت (آشتا) فى هلع :

ـ انتهى الأمر .. لن يجدنا فى الصورة ، ولسوف تتراكم علامات الاستفهام حولنا .. لم تعد حياتنا ممكنة هنا .. فلنرحل ..

ـ اصمتى يا (آشتا) .. إن هذا الرجل سيدفع ثمن فضوله غاليًا ..

وخطرت لى فكرة ..

إن جسدينا يتكونان ـ تحت الجلد ـ من طاقة .. طاقة ذات إشعاع يمكنه أن يؤثر فى الفيلم .. إن صورتنا ستنطبع على الفيلم .. لكن بشريًا لن يراها .. لن يراها سوى كيان طيفى .. سوى كتلة من الطاقة ..

لو أن (رفعت) هذا بدأ يتحول إلى طيف ، فإنه سيبصر صورتنا على الفيلم دون جهد .. وفى ذات الوقت ستبدأ تغيرات غير مفهومة تصيبه .. ربما يجن .. ربما يفقد صوابه .. لا يهم .. لقد كان هو البادئ بالعدوان .. فلنبدأ انتقامنا .. الآن يا (آشتا) .

وفى رحلة العودة بالحافلة ظللت و (آشتا) نواصل ما بدأناه .

تشابكت كفانا وشرعنا نوحد طاقتنا كى نزعزع كتلة خلايا هذا الرجل .. ببطء يتخلى عن ماديته ويغدو مثلنا .. مجرد صورة لا أكثر .. لكنه لا يشعر بهذا ..

وعرفنا أنه حين يطبع الصور سيجد صورتنا واضحة أشد ما يكون الوضوح ، لكن أحدًا سواه لن يراها .. لا بأس .. لن يدفعه هذا إلى الشك فينا .. بل سيشك فى قواه هو العقلية ..

الاثنين ١٣ يونيو :

* * *

لم تنته المفاجآت الأليمة ...

اقترفت (آشتا) خطأ جسيمًا فى إحدى المحاضرات الختامية للعام ، حين سألت المحاضر عن معنى لفظة (رلة) الإنجليزية ..

وللحظة ظنها الرجل تمزح .. ثم أصابه الذهول .. وراح يردد :

ـ طالبة فى السنة الثالثة بكلية الطب .. ولا تعرف أن (لانج) معناها رنة ! .. إن هذا ليس جهلا .. بل هو يدخل فى نطاق الجريمة .. من أين أتيت يا دكتورة ؟ .. من المريخ ؟ .. هل أنت واثقة من أنك معنا هنا ؟

بدا لى الرجل موشكا على الإصابة بنوبة قلبية ..

لكن المشاكل لم تنته ..

فبعد المحاضرة فوجئنا بالطلبة يحتشدون حولنا ليمنعونا من مغادرة القاعة .. ورأيت المدعو (مدحت) يتقدم منا وفى عينيه نظرة عداء ، واضحة .. وسمعته يهتف :

ـ هذا حق .. من أنتما ؟!

تعالى صوت طالب منهم :

ـ أمس سألته عن رأيه فى مباراة (الأهلى والترسانة) .. كل مخلوق فى مصر تابعها أو سمع عنها .. أما هو فلم يعرف أصلا أن هناك مباراة .. أكاد أقسم إنه لم يسمع عن لفظة (أهلى) من قبل !

كان يتحدث عنى .. وتعالى صوت رفيع لطالبة تقول :

ـ أما هى .. فلا تعرف شيئا على الإطلاق .. لم تفهم

معنى (ساتان) ولا (أورجانزا) ولا (بيديكير) .. حتى حين سألتها عن (الكوافير) الذى تتعامل معه تساءلت فى حيرة : هل تعنين حاكم الإقليم ؟!

قال (مدحت) وهو يكشر عن أنيابه :

ـ هذا هو السؤال .. من أنتما ؟ هل أنتما جاسوسان إسرائيليان ؟

تعالى صوت آخر :

ـ ربما هما من المريخ كما قال د. (محمود) ؟

ـ أو طالبان مزيفان من هواة الطب ..

كان الموقف يزداد سوءا .. من الواضح ـ كما تنبأت (آشتا) ـ أنه لا وجود لنا ولا مكان فى هذه الكلية ...

ـ (آشتا) .. يجب أن نرحل ..

ـ أنا معك .

تبادلنا هاتين العبارتين عبر سيل أفكارنا ، الذى لم يسمعه هؤلاء ..

ـ لكن يجب أن نمحو كل أثر لنا فى عقولهم ..

ـ تعنى أن نلتهم كل هذا الكم من الأفكار ؟.. سنصاب بتخمة ..

ـ هذا هو الحل الوحيد ..

وشرعنا نستخدم موهبتنا الطيفية ..

www.liilas.com

شرعنا نبتلع كل الذكريات بخصوصنا من عقول حشد الطلبة المحيط بنا .. ، وحين انتهت مهمتنا كان كل واحد منهم يرمق الآخرين بنظرات زائغة .. وقد نسى كل شيء عن السبب الذى احتشدوا من أجله ..

وانتهزنا الفرصة لنختفى عن عيونهم ، قبل أن يرونا .. فيتذكرون ..

* * *

الثلاثاء ١٤ يونيو :

قرّ قرارنا على الاستقرار فى إحدى الجامعات الإقليمية ، وفى كلية أخرى غير الطبّ .. فنحن لم نكن يومًا ممن يجيدون الإنجليزية أو اللاتينية .. على أننا شعرنا أن هناك شيئًا يتحتم علينا عمله قبل أن نرحل ..

فمادام أمرنا قد افتضح ، وانهارت خططنا فى هذا المكان ، فلم يعد هناك داع لكى نترك د . (رفعت إسماعيل) فى طور اللامادية الذى يمرّ به .. لسوف يتعذب المسكين كثيرًا .. خاصة حين يفقد تحمله للشمس (سو) ويحترق جلده .. ويغدو عدوًا للشمس مثلنا ..

وهذا أمر متوقع خلال شهر أو أقل ...

إذن علينا أن ننتزع منه ما منحناه إياه من طاقة ..

عرفنا عندئذ أن الرجل قد سافر إلى (الولايات المتحدة) .. وأنه سيبقى هناك شهرًا أو أقل قليلاً ...

سيكون علينا أن ننتظره حتى يعود كى نحرره ...

* * *

الثلاثاء ٨ يوليو :

لقد عاد د. (رفعت إسماعيل) اليوم .. هذا حسن .. لقد مرت رحلة (الولايات المتحدة) بسلام إذن ، ولم يلتقط له أحد صورًا .. المفترض منا الآن أن نحرره دون أن يشعر هو بذلك .. لابد من عدد من اللقاءات الذاتية معه تتيح لنا انتزاع طاقته .. ولكن كيف ؟ ...

وكانت (آشتا) تملك الجواب ...

الفتاة التى كانت (آشتا) تعيش معها عندما كنا فى عالم الأطياف ، هى أستاذة فلسفة عاتس تُدعى (كاميليا) ..

وكانت (آشتا) قد درستها تمامًا .. عرفت كيف تتكلم .. كيف تلبس .. كيف تضع (الماكياج) .. بل عرفت حتى طريقة تفكيرها وأسلوب حياتها ...

وخطرت لنا الفكرة المجنونة .. (آشتا) تتنكر لتبدو كالأستاذة .. (وهذا هيّن مع كل المساحيق التى تضعها هذه) وتذهب لتتعرف الدكتور (رفعت) ..

وعن طريق لقاءات متعددة تتمكن من استخلاص طاقته .. ولكن متى وكيف ؟ .. هذا هو السؤال ...

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

الأمور تسير على ما يُرام ..

كنت قد قابلت بالصدفة ـ منذ أيام ـ رجلا يُدعى د. (محمد شاهين) يزور د. (كاميليا) فى مكتبها .. وعرفت بالصدفة أن هذا الرجل هو صديق قديم لـ (رفعت إسماعيل) ...

هذا رائع !.. سيكون هذا الرجل هو حلقة الوصل التى أريدها ..

زرته فى مكتبه ، وقلت له : إننى صديق قديم وقريب لـ (رفعت) .. وأن الجميع قلق ، لأن قطار الزواج سيفوت هذا المخبول .. ثم قلت له : إننى أرشح د. (كاميليا) لتكون مدام (إسماعيل) ..

تحمس الرجل للفكرة ، وأدركت أنه طيب القلب إلى درجة البلاهة .. فطلبت منه أن يبقى الأمر سرًا بيننا ، على أن يفاتح د. (رفعت) بالأمر كأنه عارض .. ومن بنات أفكار د. (محمد) وحده ..

فى نفس الوقت كانت د. (كاميليا) قد سافرت إلى

(الإسكندرية) فى رحلة قصيرة ، وصارت دارها الخاوية ملكا لى و (آشتا) .. وهكذا صار لنا بيت وفراش وثلاجة وحمام ..

وفى هذا البيت شرعت (آشتا) تستعد لكى تلعب دور د. (كاميليا) حين يأتى (رفعت) ليراها غدًا ..

كان الماكياج متقنا ، ومع المساحيق ، والجمة كستنائية اللون ، والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادى المميز لـ (كاميليا) ، صار الشبه تامًا .. خاصة و (رفعت) لم يرها من قبل .. و(محمد شاهين) لا يرى أبعد من مترين .. أما بالنسبة للباقين فى القسم ، فمن قال : إن هذه هى د. (كاميليا) ؟! .. إنها دارسة نهمة للفلسفة لا أكثر ...

* * *

الثلاثاء ١٥ يوليو :

تمّ اللقاء الأول ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو :

تم اللقاء الثانى فى (كافتريا) .. وحاولت (آشتا) أن تكون (كاميليا) تمامًا فى كل شىء .. ، لم يشك (رفعت) فى أمرها .. لكن المهمة كانت أعقد مما

Eman www.liilas.com

كان الماكياج متقنًا ، ومع المساحيق ، والحمة كستنائية اللون ، والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادى المميز لـ (كاميليا) ..

تصورت .. يحتاج الأمر إلى كثير من التركيز لإنهاء هذه اللعنة التى تطارد (رفعت) ..

المشكلة أنها لن تستطيع ممارسة هذا التركيز دون أن تثير ريبته ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :

لن تطول المهزلة أكثر من ذلك ..

عرفت أن (رفعت) ملأ الدنيا صراخًا ، وقد بدأ الناس جميعًا يتحدثون عن خباله ، وتبدل طباعه .. وأنه طرد الطالب الذى زاره حاملا هدية الطلبة من أجل مرضه ..

يجب أن تنتهى عذاب هذا البائس حالاً ، خاصة أنه عذاب بدون جدوى ...

وفى الصباح توجهت إلى داره ..

وقرعت جرس الباب فى تصميم ...

* * *

٧ ـ أطياف !

الثلاثاء ٢٣ يوليو [بقية] :

انتهى الفتى من سرد قصته ، وراح يرتقب الانفعالات التى سأتى بها ..

لكننى ظللت أرمقه فى تراخ .. عاجزًا عن قول شىء .

قال لى وعلى شفتيه تتلاعب ابتسامة خافتة ..

ـ ألن تلومنى ؟ .. ألن تقول لى كم أنت محنق ؟!

فتحت فمى .. وبصعوبة خرجت الكلمات :

ـ و د . (لوسيفر) ..؟ .. لقد كانت قصته أقرب إلى الصواب من كل شئ .. هل هذا الرجل .... ؟!

وصمت .. لكن الفتى أدرك ما أردت قوله ..

قال فى هدوء :

ـ إن د . (لوسيفر) ـ كما تسمونه ـ يعرف حقيقة وجودنا ، وقادر على الاتصال بنا .. وأعتقد أن القصة كلها وصلته بشكل ما ..

ثم أردف ، وهو ينظر فى عينى :

ـ إن ما قاله لك (لوسيفر) لم يكن رجمًا بالغيب ..

بل كان يتحدث عن حقائق يعرفها .. وبالمناسبة : نحن نسميه (هو) ، وهناك من يسمونه (خريولسن) ..

ـ إن ما تقوله لغريب .. غريب حقًا .. حتى إنه يتجاوز قدرتى على الحكم الأخلاقى على الأمور .. لا أدرى ما إذا كان كل هذا يدعو للحنق أم لا .. لكننى غير قادر على الغضب ..

ضحك الفتى ـ الذى لا أعرف كيف أناديه ـ وقال :

ـ هل لديك أسئلة أخرى ؟

قلت وأنا أقذف بعض حبات النعناع إلى فمى :

ـ الواقع أن هناك احتمالاً لا بأس به فى كونك تخدعنى .

ـ وكيف لى أن أعرف كل شىء عن مشكلتك .. وعن د. (كاميليا) .. وعن د. (لوسيفر) ؟ .. وعلى كل حال .. الأمر هين ..

ومدّ يده نحو مفتاح النور .. فأضاءه .. وعلى الفور غمر الضوء الحجرة .. وسار بتؤدة ليلامس الجدار ..

قال وهو يجذبنى لأقف جواره :

ـ انظر إلى ظلى .. وظلك ..

نظرت إلى الجدار .. فوجدت ظلّى الأصلع النحيل ينظر مشدوهًا أمامه إلى ... إلى لا شىء ...

إن الفتى لا يترك أى ظل على الجدار .. !

ـ هل رأيت ؟.. إن الضوء يمر عبر قناعى المزيف

www.liilas.com

دون جهد .. ولهذا لا تنعكس صورتى على الأفلام ..

ـ ولـ .. لماذا أرى أنا ظلّى مادمت مثلك ؟

رفع كفه فى كبرياء :

ـ لحظة من فضلك .. لست مثلى .. بل أنت فى الطريق لذلك .. ولو أننى تركتك وشأنك لصحوت بعد شهر من النوم لتجد أنك لا تترك ظلاً ..

ثم إنه قادنى عائدًا بى إلى الأريكة .. وجلس وجلست .. وقال وهو يخلع حذاءه ويتربع جالسًا :

ـ والآن ـ وقد زالت الشكوك جميعًا ـ أرى أن تمنحنى تفكيرك وكيانك كله يا د . (رفعت) .. سأعمل الآن على شفائك من وصمة (التلاشى الفوتوغرافى) هذه ...

ـ أكون شاكرًا لو أسرعت ...

أمسك بيدى وأغمض عينيه ...

* * *

أنا أحلق فوق المحيط بأجنحة من شمع مثل (إيكاروس) .. الشمس .. لا أريدها ! .. إنها ستذيب أجنحتى .. إنها ستجعلنى أهوى من عل ...

(إيكاروس) مات لأنه دنا كثيرًا من الشمس .. من الحقيقة .. وأنا مثله أقترب .. وأقترب . دون أن أستطيع المقاومة ..

أطياف فى كل مكان .. أطياف تتأملنى وتضحك .. برغم هذا أنا عاجز عن رؤية ملامحها ..

زجاجة العصير اتسكبت .. لكن النمر لم يلحق بالغزلان .. ، (آشتا) .. (آشتا) .. تناديك من الثقب الأسود .. القزم الأخضر لن يلبث طويلا حتى يتحول إلى ثقب .. ثقب أسود كبير .. لماذا لم يجروا لى جراحة اللوزتين ؟ .. ربما لأن (قابيل) قتل أخاه .. لو لم ير الغراب لما عرف كيف يوارى سوأة أخيه ..

السماء تتحول إلى خنجر عملاق يهوى فوق صدرى .. وأنا ممدد على الكلأ مقيدًا بلا حيلة ..

سيخرج هذا الخنجر كل الدماء الفاسدة .. كل الأوهام .. ربما يستأصل لى اللوزتين أيضًا .. (بو) كان يعرف كيف يفزعنى .. والآن مات (بو) .. فمن سيفزعنى بعد هذا ؟..

و (كاميليا) لها صوت رجل .. ترى هل هى تملك أحلامًا أنثوية ؟ .. هل تحب الزهور والربيع ؟ .. السير (ماكيلوب) يرفع البوق إلى شفتيه .. وعما قريب يخرج وحش (لوخ نس) من البحيرة ..

لا !.. ليس (ماجى) ..!.. النبات المشئوم يمد سيقانه ليمتص دمائى .. إن (براكسا) تريد جسدى لتعيش فيه .. الاستحواذ .. (أينشتاين) كان عبقريًا .. و ...

هوذا الثقب الأسود .. ليس ثقبًا وليس أسود .. إنه مجرد باب يقود إلى بعد آخر .. وعلى جانبه يقف (آشتا) ملوحًا بذراعه اليمنى لى .. لا أرى ملامحه .. فقط ظله .

ـ هل حقًا انتهيت يا (آشتا) ؟ ..

ـ نعم يا د . (رفعت) .. أنت الآن حرّ .. لقد استرددت ماديتك .. وما أغربه من ارتباط !.. من المعتاد أن الحرية تعنى الخلاص من المادية ..

ـ وهل .. هل سأظهر فى الصور ؟ ..

ـ بالتأكيد .. وسترى الشمس دون وجل ...

ـ وهل ستلتهم ذكرياتى عنكما .. وعن شعب الأطياف ؟

ـ كان هذا منطقيًا يا د . (رفعت) .. لكننا لن نفعله .. لقد وجدنا فى رأسك عقلاً يمكنه استيعاب الفكرة .. عقلاً يمكن أن يحتفظ بالأسرار .. عقلاً شريفًا ..

ولا نطلب منك سوى وعد بأن تحفظ سرنا ..

ـ ولكن .. أليس من الأوفق والأسلم أن تزيلوا ذكراكم من عقلى ؟

ـ بالعكس .. نحن بحاجة إلى (الماديين) .. يجب أن تتعلم منهم أكثر حتى لا تحدث أخطاء جديدة .. ستكون أنت صديقنا الوحيد من بينهم .. ، ولك أن تتوقع زيارات أخرى منا ..

ـ إذن أنا حلقة الوصل ما بين العالم المادى وأرض الأطياف ؟ ..

ـ نعم .. لو افترضنا أننى و(آشتا) مازلنا طيفين ..

والآن .. لا تضعف يا د . (رفعت) .. لقد تركت فى عقلك الباطن نسخة من مذكراتى .. وحين تصحو ستجد الأحداث هنالك .. لكن لا تضعف .. أريد أن تقسم أن هذا سرّ بيننا ...

ـ أ .. أقسم أن ...

ـ هيا يا د . (رفعت) .. إننى أنتظر ..

ـ أ .. أقسم أن أحفظ السرّ .. !

ـ حسن يا د . (رفعت) .. أعرف أنه بإمكانى أن أثق بك .. والآن يمكنك أن تترك نفسك لأمواج النعاس اللذيذ التى تتقاذفك .. فكر فى جزيرة بالمحيط بها كوخ ... الكوخ مصنوع من (البامبو) ... داخل الكوخ يوجد بحار عجوز .. وببغاء .. وقيثار .. و ...

* * *

كم الساعة الآن ؟ ..

لقد جاء الليل .. غريب هذا !. إن رأسى يعجّ بالخواطر والأفكار .. لهذا جلست لأكتبها قبل أن تذوب كالآيس كريم .. أفكار هى أشبه بكيس ملئ بالبيض الطازج .. لو لم أخرجها فورًا فلسوف يهشم بعضها البعض ...

وقد انتهيت الآن فقط من كتابة مذكرات اليوم الثالث والعشرين من يوليو أهم يوم فى حياة مصر .. وأغرب يوم فى حياتى الخاصة ..

* * *

www.liilas.com

الأربعاء ٢٤ يوليو :

ظللت حبيس الفراش طيلة اليوم لا أجرؤ على الخروج إلى ضوء الشمس .. لا أدرى ما هو صواب وما هو وهم ...

* * *

السبت ٢٧ يوليو :

للأسف .. الشمس غائمة اليوم .. لن أعرف الحقيقة أبدًا .. مدفوعًا بفضول لا يهمد اتجهت إلى كلية (الآداب) .. وسألت فى قسم الفلسفة عن الدكتورة (كاميليا) .. قالت السكرتيرة فى لا مبالاة .. وهى مستمرة فى الطباعة على الآلة الكاتبة :

ـ حظ حسن .. لقد عادت اليوم فقط من الإسكندرية !

سرت متوترًا نحو الغرفة التى علقت على بابها لافتة خشبية تقول (أ . د . كاميليا منصور) .. وقرعت الباب بحذر :

ـ ادخل !

دعانى الصوت الرجولى الخشن فدخلت .. كانت هى .. هى بعينها .. لكنى لاحظت أنها لم تبد سعيدة أو متحمسة للقائى .. قلت لها وأنا أجلس :

ـ لم تتصلى بى منذ أربعة أيام ..

ـ أفندم ؟!

ـ منذ أن جلسنا فى الكافتيريا نتحدث عن التلاشى .. لم ...

رأيتها تنهض وقد رفعت كتفيها .. وعلى وجهها أعتى علامات الغضب .. وعندئذ عرفت أنها حقًا ليست هى .. لون العينين مختلف .. الذقن مدبب ومشقوق .. التجاعيد أكثر .. المساحيق أقل .. ليست هى .. والآن يجب أن أفرّ ..

ـ هل جننت أيها المخبول ؟ .. أنا أجلس معك فى كافتيريا وأتصل بك فى دارك ؟ .. عم تتكلم بالضبط يا أستاذ ؟.. أنا لم أرك فى حياتى .. يا لها من وقاحة وقلة حياء ! .. يا (شعبان) ! .. (شعبان) !

لقد فتحت بوابة الجحيم على نفسى ، وحين تبدأ هاته السيدات قويات الشخصية القياديات فى الصراخ ، فلن يُسكتهن سوى الديناميت .. وهاهوذا (شعبان) الساعى يهرع إلى الغرفة ليعرف سبب هذا الصراخ ...

ـ خذ هذه الحثالة وألق بها إلى الخارج !

ثم تنهدت فى إعياء .. وأردفت :

ـ إنه يتهجم علىّ ... !

* * *

خاتمة ..

إلى هنا تنتهى الفترة التى اقتبستها من مذكراتى ، ولربما أعود لهذه المذكرات مرة أخرى حين أجد ما يستحق .. فهى - قطعًا - ملأى بكلام لا طائل من ورائه.. وخواطر سخيفة .. ومشاريع لم تتم قط ...

انتهت القصة إذن بهذا الموقف المحرج ، ووجدتنى أُرمى إلى الخارج رميًا .. لكننى على الأقل تأكدت تمامًا من أن كل ما حدث لى لم يكن وهمًا ...

قابلت د. (محمد شاهين) بعدها فى (الفيشاوى) ، وسألنى عما حققت من نجاح فى موضوع الزواج ، فقلت له - بخبث - إننى لا أعرف سبب تبدل طباع (كاميليا) ، وطلبت منه أن يتوسط لى عندها فوافق متحمسًا ..!

وقد كان .. ! ..

صحيح أنها لم تطرده ولم تلق به فى الشارع لأنها تعرفه جيدًا ، لكنها ظنت بحالته العقلية الظنون حين راح يحكى لها تفاصيل لقائى معها .. بينما هى لم تكن فى القاهرة أصلًا ! ..

هذا عن (كاميليا) ..

أما عنى أنا .. فلا داعى لأن أقول : إننى هرعت إلى ستوديو التصوير ، وطلبت التقاط صورة لى ..

وفى اليوم التالى وجدت صورتى المفزعة ، فبدت لى أجمل ما رأيت فى حياتى ..

ومن نافلة القول أن أقول إننى عدت أتحمل الشمس .. وصارت أشعتها الذهبية الفاتنة صديقتى الدائمة ..

* * *

أما عن آخر ذيول القصة - علاقتى بطليقتى - فقد تكفل به (مدحت) نفسه .. الذى شرحت له مدى توتري وتدهور صحتى فى تلك الأيام الكئيبة ...

يذكر القارئ أننى تحدثت عن (أشخاص) ما .. فى مقدمة قصتى مع حارس الكهف (العدد السابع) ..

قلت لك : إنهم انصرفوا .. وأبيت أن أذكر أية تفاصيل عنهم ..

الواقع أن الوقت قد حان لأعلن هذه الحقيقة التى كنت أحاول إرجاءها بعض الوقت ..

إن (آشتا) و(آشتا) و(آشتا) - الثالث له ظروف مماثلة لهما - مازالوا يزورونني من حين لآخر ..

أحيانًا يقرعون الباب ..

وأحيانًا أجدهم فجأة أمامى داخل الشقة ..

طبعًا هذا الكلام لا أجرؤ أن أخبر به أحدًا سواك لأنه يشبه - إلى حد كبير - ما يقوله المجانين ..

هؤلاء الضيوف غير المدعوين يجيئون إلى من حين لآخر ليحكوا لى المزيد عن عالمهم ..

Liman Liliis.com

طبعًا لم تنجب (آشتا) لأن جسدها مجرد قشرة ، بلا رحم ولا مبايض ولا أى شىء .. لكنهما سعيدان معًا .. وهما - بعد ربع قرن أو أقل قليلا - ينتقلان من بلد لبلد .. ويعيشان فى إطار جديد فى كل مرة ..

والسبب - حتمًا - هو شبابهما الدائم الذى سيثير الأوقاويل حولهما إذا استقرا للأبد فى مكان واحد .. اليوم هما زوجان يعملان فى محطة بنزين فى (فلوريدا) .. غدًا هما طالبان فى كلية الهندسة بـ (موسكو) .. بعد غد هما يبيعان الشاى فى (غرزة) على طريق (سمنود) .. المهم أنهما معًا .. وأنهما يفران من عدسات الكاميرا ومن الشمس الساطعة ...

* * *

والآن ...

أسمع عواء - أو خرير - وحش أسطورى مرعب ، يتحرك فى أقبية الأساطير الإغريقية قادمًا نحوى .. ليضيف ذكرى مروعة جديدة إلى ذكرياتى ...

إن (المينوتور) قادم .. ومعنى هذا أن ندعو الله ألا نكون نحن ضحيته القادمة .. سأحكى لكم التفاصيل كلها .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
القاهرة

[تمت بحمد الله]

* * *

رقم الإيداع : ١٦٠٦